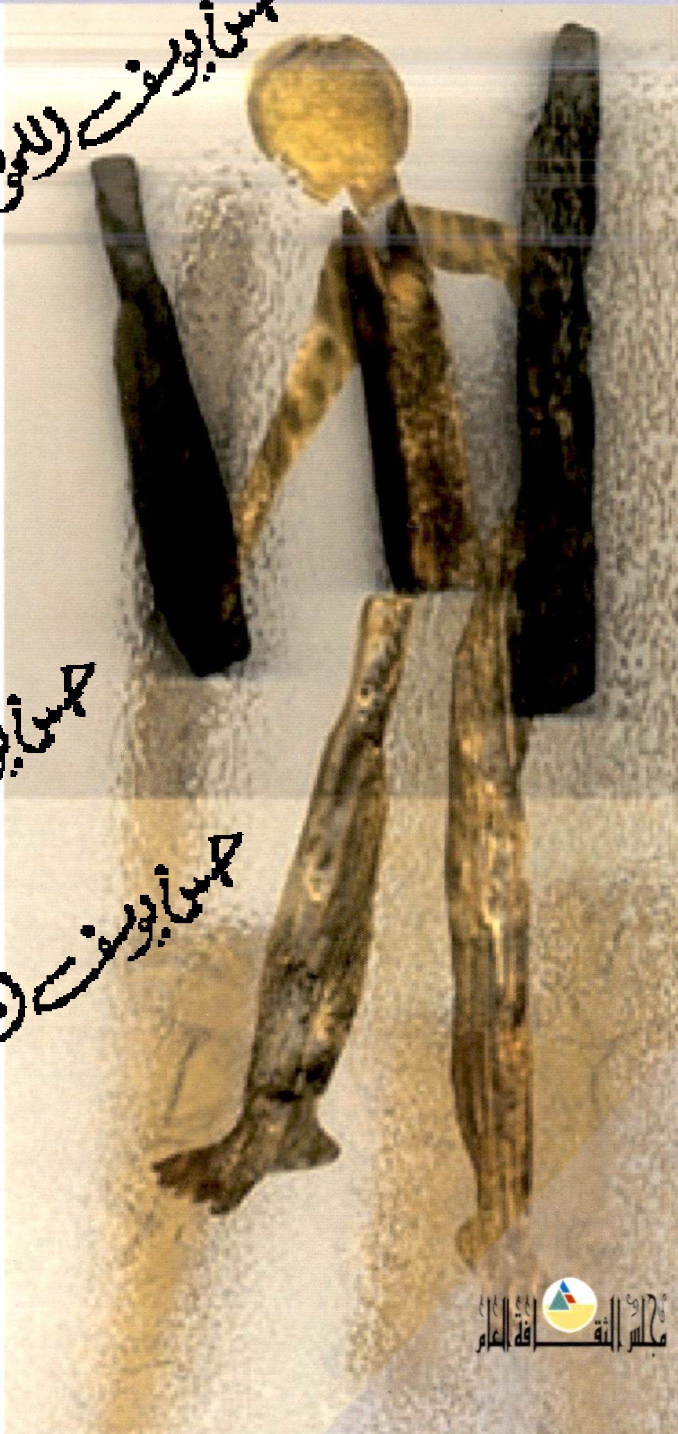
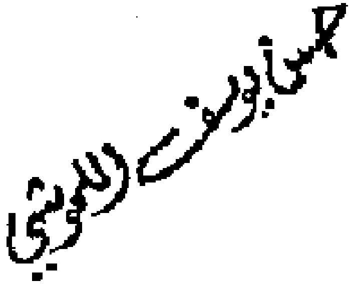
طفل الواو

قصص قصيرة

نجوى بن شتوان



مجلس الثقافة العام



طـفل الــواو

قصص قصيرة

طفـــل الـــواو

قصص قصيرة

نجـــوى بن شـــتوان

النـاشـر
مجلـس الثـقافـة العـام

اســـم الكـتاب	**طفل الواو - قصص قصيرة**
اســم المؤلـف	**نجوى بن شتوان**
سـنـة النـشــر	**2006م**
رقـــم الإيـــداع	**7218 / 2006 م**
الترقيم الدولي	**ISBN - 9959 - 38 - 130 - 7**

تصميم الغلاف	**علي العباني**
لـوحـة الغلاف	**محمد بن لامين**
التنفـيذ الفـنـي	**عاطف الأطرش - نجلاء المنقوش**

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فـرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فـرع بنغـازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

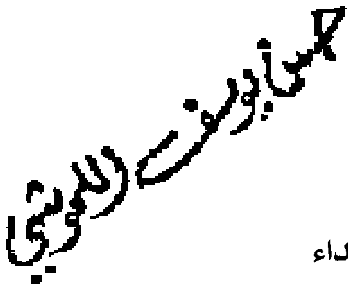
بريد مصور 0021861224157‍6 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005 @Yahoo.ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيذ الطباعة

القاهرة ت 0020123140315



الإهـــداء

إلى مي شدياق

أشجار معدنية

جدٌّ مسماري يرقد في حائط حوش جلغاف، لتستره عن جريمة قتل قام بها رجال المحترم، في حق رجل أحب إحدى بناته وكانت بينهما عداوة.

المسمار الجد قام بتغطيس روح القتيل، لكيلا تظهر في المكان فتفزع الناس، فينشط البحث في قضية اختفاء الرجل وما يتبع ذلك من افتراضات تقود لاكتشاف الفاعلين.

المسمار الجد مازال يقبض روح قتيل ذاك الحب، الذي تزوجت حبيبته بعد مصرعه بشهور، ناسيةً أمره بالفراش والأطفال.

لكن المسمار لم ينسَ مهمته منذ عهد المحترم القديم، وصدأه على قصة الحب والقتل، كأنه لم يعلم بتغير العهد والزمان وحصول أمور كثيرة لا تلزمه المسمرة في نفس المكان.

لحسن قدر المسامير إن المسمار الجد قبل التحاقه بالجدار منذ

كذا وخمسون عاماً، كانت لــه علاقة نزقة، أثمرت عن وجود مسيمير مدقــوق في بــاب ابــن المحــترم، تحديــداً بــاب مخدعــه الموصــد عــلى الخليلات، والبريئات، والخادعات، والمخدوعات.

وهــو مــا يــزال المسؤول عــن الحمايــة الأكـيدة لسمعة الاحــترام برمتهـا، مـن أن يفـتح أحدهـم البـاب فـيداهم حضـرته وهـو يستمتع بثمار احترامه! .

ثـم طـرد المسمار مـن الخدمـة عندما بـدأ يتخلخل، ويـدع الهـواء يلج على فخامته وهو يمارس هوايته في خنق الهواء.

كـان أعـرج، وقـد فقـد أهـم أسنانه لحظـة مقاومته للانتزاع، ظل مرمـياً عـلى الأرض، داسـته الأقـدام وغسـله بصـاق المـارة وأصـحـاب الحلـوق المجففـة، وكنسـته أنـواع كـثيرة مـن الأرجـل، مـنها أرجـل الأشـخاص الذيـن سرقوا مبنى الخـزانة العامـة ولم يوجد لهم أثر لليوم (بالرغم أن المسمار كـان موجـوداً عند المدخل و شـهد السرقة، فقط لو أنهم سألوه ولم يتجنبوه في التحقيقات).

مـن الأرجـل الكانسـة أيضـاً، أرجـل ذهبـت تـشي ببعضـها عـند المديـر العــام وأخـرى تـأتـي مخدعـه بالمخدوعــات لقضــاء حـاجــاتهن الباقية سنيناً بين أرداف الملفات المؤجلة.

كـان الظـرف الأعـوج هـو السـبب بوقوعهـن السـريع في شـبـاك الإدارات المنمقة الواعدة بالفعل وبالقدرة عليه دائماً.

إحداهن عرفها أكثر من غيرها لصلة قرابته بمسمار قدمها... وقد أتاحت لـه تلك القرابة أن يعرف عنها المزيد، مبتعداً في معرفته عن القدم والفخذين وما بينهما وأعلاهما!

إنها زوجة رجل مهم من أفخاذ قبيلة هامة تنحدر من بطون قبلية عريقة...لم تكتفِ بأمجاد زوجها المالية والفحولية، فالبحر يطلب المزيد من المزيد.......!!

ولم تتأخر هي في مد صديق الزوج الوفي من أمامها وخلفها وتحتها وفوقها!

أخو مسماري........كنسته مقشة عامل نظافة بعد سنة أمام الإدارة المركزية، فذهب للفرز في مصنع تدوير القمامة، أحيل من هناك لمجتمع الصلب لإجراء تعديلات عليه، فلما ذُهب به إلى الفرن خرج مسماراً من جديد، لكنه لم يفقد ذاكرته بحرارة الفرن القاتلة... زادته النيران تمسكاً بأصله المعدني، فقفل رأسه عن الأنين واستجاب لقدره، فكل الأشياء لها نهاية لا محالة، ونهاية الصهر لابد أن تجمعه على شيء جديد. علقت بقوة على التحمل بعض الإبر الصينية الضعيفة فاكتشف أنه غدا صهراً لعديد الإبر والدبابيس التي سلكت مسالك سيئة وأخرى حسنة.

بعض ذريته رافق المدنيين وبعضهم رافق الحملات الطبية في المناطق المنكوبة بالحروب والكوارث الطبيعية، وبعضهم لازم المكاتب

والروتين الميت وبعضهم تخصص في الحياكة وستر عورات الناس هرباً من الخدمة العسكرية، لكنها لاحقته وهو يحمل السلك فنحته من الثوب العادي الذي سينزل إلى السوق باتجاه البدل العسكرية التي ستنزل لميادين الاشتعال.

وهكذا قضى هذا النوع من الذرية حقبة من عمره في الخدمة العسكرية أكثر مما توقع لنفسه لو أنه ذهب ليصبح مواطناً مجنداً في الجيش.

أشهر الألبسة التي خاطتها خالة مسماري، كوفية زعيم عشائري محلي مات بالسكتة الوطنية، وفساتين بنت السفير الذي تدخلت أصابع دولته في شؤون بلادنا أكثر من اللازم.

وقبل أن تصاب عين تلك الإبرة بقصر النظر وتعجز عن إدخال السلك في الإبرة، قامت بعملية سرية جداً، أدخلت ضمنها جاسوساً خطراً للغاية إلي البلاط السلطاني، ولما اشتبه بأمرها خضعت لتجربة إدخال جمل من سمها، فأدخلته، مما أكد أنها ليست بريئة من إدراك المستحيل!

أما عمة مسماري من غير جدته، فقد عملت في التمريض ودخلت بمؤخرات مختلفة الأحجام والأجناس، على مستويات غير متساوية من النظافة والقذارة.

دخلت بأذرع شريفة وغير شريفة، أذرع لصوص وأيدي

أشخاص غُلت إلى أعناقهم وأخرى بسطت أبعد من البسط، حتى انحدرت إلى مواضع الذم، وسجنت مع الإبر التي شملها قرار وزير الصحة العامة بالاختفاء من الأسواق الإنسانية والبيطرية، كي لا تتصرف بحمق حقنة البقر التي هبت لنجدة إنسان يحتضر فأنقذته من الموت المحيط به، لينتهي مصاباً بالجنون!

لقد كانت تنظر بحسرة لمستقبل الإبر في البلاد التي خلا فيها الجو لإبر المخدرات وإبر الأقاويل الشائنة.

أخت إبرة من الإبر الساقطة دخلت بذراع ابن مسؤول مهم فداخت في دمه وتسممت، ولما استخدمها بعده صهر مسؤول حكومي سهر معه، مات الصهر بدم ابن المسؤول المسمم، فاختلط حابل الحكومة بنابلها، يعني امتشجت دماؤها ببعضها، ونسي أمر الإبرة.

خالة مسماري الصغرى خيط بها كفن ميت فاستعملت قبل وصول الميت إلى ربه، في تكحيل عين رجل معيان، أهلك الناس وحطمهم بنفاذ عينيه المهلكتين إلى ما يملكون.

خال المسمار الحالي كان خالياً من القوة، لم يكن شجاعاً بما يكفي ليرد الضرب عن نفسه، كان ينثني لأول صدمة تأتيه من قوة عظمى حتى قيل بأنه صناعة محلية.

حفيد مسماري هو أحد دبابيس مؤسسة الصحافة والإعلام وتوظيف الكلام، أحد إبر القنفذ التي بحملها على ظهره ويحتمي بها،

لا تخزه بل تخز غيره إن حاول الاقتراب، منذ حين لم يغادر المؤسسة يدور حول نفسه في جنباتها، فما من كلام مهم له قدرة التمدد أكثر وأطول من حجمه ويستطيع بلوغ أسقف الحقيقة العالية، إنه مثالٌ خيرٌ للانكماش بالبرودة.

بإيجاز أصبح دابر حفيد مسماري الحالي مكسور بالتماثل، عندما كسرت شوكة القنفذ.

والد أم مسماري، لا يذكر عنه شيء، عاش عيشة غامضة بعيدة عن مواقع الحدث، ثم هاجر فجأة عن طريق البحر إلى الساحل الآخر ليدق نفسه بموبيليا إيطالية تعود لأحد الرقود من سلالة آل مديتشي، قاطعاً كل علاقة له بمعدنه هنا، رغم محاولات معادن رخيصة استرجاعه من المنفى.

العمة الشقيقة لمسماري طلبت العلم والعمل في الصين، فوجدته متاحاً، لها ذرية متشابهة تعمل في مهنة الوخز الطيب، فالعمة عندما هاجرت لم تحتفظ بصفة من صفاتها الوطنية الأولى إلا صفة الوخز، ثم بحكم البيئة وتأثيرها طورت صفتها السائدة تلك في الاتجاه الخير، فنقتها من الخبث ولقنتها الطيبة وشذبتها من شوائب البيئة الأم لتعيش منها هي ويرثها عقبها من بعدها.

مسماري الحالي أعرق من كل المسامير التي التقيتها في حياتي، إنه صبور على الحمولات التي أثقلت كاهله بها، ملابسي

وصوري وأشياء خشيت التصاقها بالأرض، إنني أثق به رغم صدئه أكثر مما أثق بسطح الأرض، وكيف لا وقد نجح بإخلاص في المهمة التي كلفته بها، حين جعلته حجة لدخول بيتي الذي اكتراه أحدهم، (ليس أجمل من حجة تفقد أحوال المسمار للتلصص عليه).

أما مسمار البلاتين الذي لولاه ما استقامت لي خطوة ..... فأنا أحبه أكثر من عظامي الحقيقية، كما أحبته المرأة التي تطوقته أو تختمته متشاوفة على الأخريات، قبل استقامة خطواتي.

عندما أذهب للآخرة لن يتمكن الدود من امتصاصه، سيعامل ككنز من قبل التراب، ما سوف يشعرني بضآلتي، لأن اللّٰه شاءني من معدن غير نفيس، وسأطلب منه انتزاعه مني قبل عرضي على النار، فالبلاتين من الموصلات الجيدة للحرارة، تلك التي أستحقها على أشياء فعلتها تشبه ما فعلته جميع المسامير التي أحاول ألا أكون من نفس معدنها!

بنغازي 2004/11/10.

التزام مطاطي

لأنـي أتمدد... ولأنه لم تتم السيطرة على غددي نشيطة النمو باتجاه الأعلى، أجلستني المعلمة في آخر الفصل.

كانت قامتي تفوق المستوى المعتاد لمن هم في سني، وكانت معلمتي تطلب مني خفت صوتي لأني أهز طبلتها كلما تكلمت كلاماً جانبياً مع أحد رفاقي أو توجهت إليها بالكلام مباشرة.

ثم لم تتوقف معاملة المدرسة لنموي بالتأخير والتأجيل بعد ذلك، إذ ُطلب مني التزام آخر الطابور، كي لا أغطي على سواي، ثم في العام الذي تلاه، اجتمع المدير بالمدرسات لتدارس وضعي المتمدد، بعد أن أطلقت مدرسة الرسم نفيراً في الإدارة، تقول فيه أنها رأتني أنظر إليها من روشن الحمام وهي تقضي حاجتها!

وقد نفت مدرسة العربي أن تكون سمحت لي بمغادرة الفصل، وشهد التلاميذ كذلك بعدم طلبي الخروج إلى الحمام خلال درس أمة العرب، حيث كنت واحداً من الجالسين بصمت،

المتقوقعين في ملابسهم الرسمية، الكاظمين لأي انفعال طارئ، قد يمزق تلك الملابس ويعريهم منها، الشيء الذي يؤكد عدم خروجي من غرفة الدرس في الساعة التي وافقت قضاء حاجة معلمة الرسم جامحة المخيلة.

بيد أن مدرسة العلوم أكدت أنها رأت رأسي يمر من نافذة المعمل، تمام التاسعة والربع تقريباً حين كانت تعد شطائر المقصف الذي تقاسمت إدارته مع نائب المدير، فكان عليها إعداد الوجبة قبل خروج التلاميذ للاستراحة، بينما يتكفل هو ببيعها، ونظراً للهدوء الذي جعلها تأخذ راحتها في عملها، فقد ميزت رأسي بدقة لا شبهة فيها، وإن لم ترَ ملابسي، قبل دق جرس الاستراحة وتكاثر الرؤوس عليها.

اتخذت الإدارة قراراً بمنعي من الحضور الكلي للمدرسة المتطبعة بطابع أنثوي، واقتصر الالتزام بدخولها على رأسي فقط.... لذا صرت أتابع دروسي من البيت حين يكون جسدي متدثراً بالأغطية، ومرتاحاً من الرياضة الصباحية، ومن إذلال النظام الطوابيري الذي نتحرك من خلاله نحو المستقبل.

كان حضوري الرأسي هناك، يسهم في الأنشطة المدرسية الصفية واللاصفية بتفوق وبروز، ثم لاحظت أنه يتأخر في العودة للبيت، فيجد والدي في انتظاره مسلحاً بأدوات الغضب التقليدية في الفم والشفتين والقبضتين.

قـال مـرة بـأنهم يـأخذون حصصـاً إضـافية تطـيل بقـاءهم في المدرسة حتى الثانية.

ارتـاب أبـي في تلك الأنشطة، فداهم المدرسة متحرياً المسألة، فلم يجد أثراً لأي نشاط، كان رأسي ساعتئذ يلعق البوظة متفرجاً على فتيات الفاترينات، والناس والسواح، واقفاً عند باعة الذرة والزلابية والفوشار، ومتابعاً مجريات عراك تجار السوق، منتشياً بتجربة الحياة دون معطيات.

كانت والدتي تترك لـه باب البيت مواربا، كي يدخل قبل أن يكتشف أبـي عودته.... وصار الأمر يمر هكذا ورأسي خارج جلساتنا العائلية، لا يحضر ولا يشارك ولا يهتم بشؤوننا مهما بلغت أهميتها.

ثم كان يوماً أقفل عليه أبـي الباب، قائلاً لنا:

إذا جاء فلا تفتحوا له..إياكم ثم إياكم... قولوا لـه عد من حيث جئت إلى حيث كنت.

وأوصد أبـي رأسه وغرفته ثم نام.

ليلتها نمت بلا رأس، وأتتني الأحلام كنيجاتيف، حلمتها بروحي، ورأيتها بمخيلتي، واستعدتها بأسناني.

أفعال أبـي تلك أعطت رأسي مبرراً ليعتمد على نفسه ويدبر رأسه ويحلم أحلاماً أبعد من مستوى المخيلة.

جاء اليوم الذي كنت في حاجته، يوم أدخلت يدي بيد فتاة اخترتها لتملأ بيتي بما ينقصه.

كنت أريده معي، فقد كنت أتزوج ذلك اليوم... وقد أخبرته قبلها بأيام إنني سأحتاج ألا أكون بمفردي مع زوجتي، فعليه أن يتدبر أمر البقاء معي.

كان جسدي يؤم الأسواق مع العروس وأهلها لإتمام تجهيزات الزواج، في حين أحرجني مع أم عروسي على الأخص،فحضوره المتقطع ومشاركته المبتورة في الأحاديث التي تجري بذلك الخصوص، جعلتها المنتبهة الوحيدة لتواصلي المشوش معهم، ولطيران رأسي مني بعض الأحيان.

كنت أعيش السعادة والفرح مع عروسي دون وجوده، لم أجعلها تكتشف غيابه، أو كما اعتقدت لاحقاً ربما كانت يقظة به ولم تشعرني بذلك، لعلها هي الأخرى عانت مع رأسها قفزه بعيداً عنها بين الحين والآخر؟

طلبت منه الحضور باكراً، والبقاء بجانبي في أهم يوم من أيام عمري، وألا يأتيني كما الضيوف ويغادر معهم، لم يتحرك، فهو كعادته هادىء لا يناقش ويظهر الموافقة والقبول كما تبدي سحنته، لكنه في النهاية يفاجئني بأنّه يعمل ما في رأسه!

تلك الليلة بقى جامداً يتلقى تبريكات المهنئين، هازاً نفسه

للأمام والخلف، ولما رقصت مع زوجتي اغتنم فرصة إطفاء الأضواء، فتسحب إلى فتيات كن يرقصن بجنون فوق الطاولات، كان هناك مندلقاً بحميمية على صدر الفتاة التي تتخبط، ويقال بأنها ترقص!

ثم لما طلب الحضور مني تقبيل زوجتي قبلة حب أمامهم، ترددت لأنه لم يكن معنا، لست أدري ماذا كان يفعل بشفتي بين الكراسي والطاولات؟

كانت القبلة مستأجرة، لم يسبقها كلام ولم يلها، أظن أسناني تدبرت الموقف، لكنها على كل حال أسعدت الزوجة التي بدا لي أن القليل يرضيها، وإنها غير متطلبة بحيث إن الدردي قد يسبب لها تضخماً!

في الغرفة الزوجية عندما حشرتنا ظروف تلك الليلة معاً، سحبته مرغماً، كان عليه الدخول على زوجتي ليوصلني إليها، ثم يتركني وشأني معها، إذ أن الزواج لا يتطلب أن تكون لنا رؤوس تدير تصرفاتنا أو تحكم سلوكنا، أعرف أناساً عاشوا سنوات طويلة مع شركائهم، دون أن تشارك رؤوسهم في إدارة تلك المؤسسة النفس جسمية وإن لمرة واحدة.

قرأت الضيق والتبرم من انحنائه داخل الغرفة، وارتطامه غير المقصود برأس العروس، لقد كان رأسها صدامياً من الدرجة الأولى، وهو ما لم يكن معتاداً عليه، فهو ملزم ما بقي معنا أن ينكمش ويتداخل ويكيف نفسه للسقف غير المرتفع بما يكفي لاحتواء حركته.

كان رأسي ذا سوابق احتكاكية مع الأسقف التي دخل تحتها، ويمتلك ندوباً ورضوضاً ظاهرة، نتيجة التلامس الدائم معها.

لامس السقف، واختنق من ربطة العنق فظهرت لزوجتي بشكل غير الذي كنت عليه، وإنني حشوت نفسي حشواً بمجهود كبير لتحتويني تلك البذلة السريتش، فتناسبني الهيأة التي رسمتها لي بذلتي!

كانت عينه على الساعة في انتظار طلوع الصباح، ولما كان الصباح، فتحت باب الغرفة فانطلق قبلي يتنفس ويحرك عضلات رقبتي.

انطلق مني، كانت بيني وبينه مسافة يسمح بها المكان، وأحسب أني لن أجده لو كان المكان أوسع.

كان هو على النافذة، يتطهر بالهواء، لا يشاركني أحلامي ورغباتي التي أخطط لتنفيذها، تظاهر بعدم سماعي لحظة طلبت منه الذهاب والبقاء مع زوجتي حتى أنتهي من الحمام، ادعى الانشغال بفكرة ثانية وجدها عند النافذة، تخلت عنها أسطح مجاورة.

صار لدى أربعة أطفال بعد سنوات من التعايش تحت السقف غير المناسب، واليوم انتظر الطفل الخامس، ورأسي يبيت تحت السقف ثم يخرج في الصباح ليجمع ما نبتت عند الأسطح المجاورة.

لا يعلم عني وعنهم شيئاً، ولا يلتفت ليعرف، لقد غادرني منذ بضعة أيام، ولم أعرف أين هو، وماذا يفعل، وهل هو هنا أم هناك ؟

زوجتي هي أيضاً لها رأس لا علاقة له بجسدها، اكتشفت ذلك حين فاجأتها ذات مرة ترصه في لباس مطاطي وتحكم ضبطه عليها، بعد شجار بيننا عن تكاليف مجيء الطفل الخامس.

لقد كان حملاً ثقيلاً عليها، والأكثر ثقلاً إنني كنت أحمله معها دون أن أعرف بأنها لم تكن بحاجة حقيقية له!

بنغازي 2005/2/27

الحبـــل

البرد يسيء لصحتك، أحكمي الرباط حول رقبتك وارفعي ياقة المعطف لتحميها من الريح الباردة.

أنكمش في معطفي إثر نصيحة والدتي.

البرد يساعد على الدخول في الذات، أتذكر جملته هذه على مقعد في حديقة يصيب قدوم الخريف جمالها المحفوف بالحزن، أتطلع لنفسي وأحلامها، أهرب من بعض المرئيات وأتخيل ما وددت أنّه حقّ وحقيقة، أطفال يلعبون أمامي يندمج معهم أطفالي، تختلط اللعب والألعاب حتى تنعدم الحدود بين اللعب واللا لعب.

بعض الأحيان كنت لا أتحكم في طول وتمدد الرقبة، فيستحيل التحكم بها، تلتوي يميناً عندما تكون العينان متجهتين شمالاً، وتكون فوق وهما تحت وإلى الخلف وهما أمام وإلى الداخل وهما في الخارج، فذات الرقبة ما أصابت كائناً إلا وجعلته متعدد الأبعاد باستعداد

ذاتـي للاطلاع غيرا لمقيد.

لكـن ا لمشكلة أنـه لم يوجـد شـيء بعـد يتمـتـع بـه الـنظر، ويشـعر برغبـة الاستمرار في متـابعتـه، بـأي اتجـاه كـان، هكذا تضـايقنـي الرقبة وتحرجنـي مـع مـن تـرتمي عـليهم كـالهبـاء ا لمنبـث لا يمـنعهـا عنهم شـيء، فيدفعونهـا نحوي مسببين تمزقاً في عضلات العنق نتيجة ليّه.

كنـت أجلـس ذات مـرة في حـافلـة، محتبسـة الأنفـاس، قـابضـة على أقـل نفـس يمكـن أن يـودي بهـا للتمدد وإزعـاج خصوصيـة الآخرين، فهـي لم تكتشـف شـيئـاً عـن الآخـر الـذي تـرهقه، كنـت أظـن أن حـبس الأنفـاس يؤدي إلى القبـض على طولها و تطـاولها.

كنـت لا أريـد مـنهـا إطلاعـي عـلى شـيء، فقـط أن تقعـد عـلى الكرسـي بجـانـبـي وتكفنـي شـر التمدد، والتطلع لأفعـال النـاس وحـركة الحيـاة التـي لا تعنيهـا.

حين ركبـت بهـا الحـافلة، علقـت رقبـتهـا مع رقـاب أخرى علقـت في بعضـهـا وبغيرهـا، فـلم أستطـع تمييز من هـم معنـا ممن ليسـوا معنـا، في أعـلى الرقـبـة الـتـي علقـت برقبـتـهـا وهـي تـأخذ طـريقهـا لرقـبة أخـرى وجـدت رأسـاً شـغله الأكـل مـن أول مطعـم مـررنـا بـه عـلى بعـد 8 كـيلو متراً، ووجـدت رقـبـة كرقـبة شـقيقي خـليفة في آخـرهـا رأس اسـتعمله خـليفة في علـوم الشـوارع، أمـا رقـبـة حمـد فقـد تعلقـت بهـا عشـرات الـرقـاب الـتي مـا عـاد أصحـابهـا موجـوديـن في نفـس ا لمكـان الذي نحن

بـه، وفي آخـر رقـبة (البـلحاق) علقـت عـيون تـتحرك في مخـتلف الاتجاهات لتحبط محاولات قلب نظام اللعب في نواحي الحارة .

كلما كنت في مكان وجدت نفسي في آخر غيره، وكلما كنت مع أناس جعلتنـي ذات الرقبة مع غيرهم.

في مواسم الخريف، لا تـؤول الأحلام، لأن لاشـيء ثابـت مـادام المحراث يقلب الأرض، لذا لا تصدقي رؤى الخريف.

كـان علـيَّ وأصدقائي عـند ركـوب حافلـة العـودة ، بـتر رقـاب دمانا أو إخفاءها أو التصرف بها قبل اتخاذ إجراء ضدها، بسبب مبالغتنا في اللعب بها مع من لهم طابع ذهنـي لا ينبغي اللعب معه أبداً، كان ذلك في آخر موسم طفولي لعبنا فيه معاً.

نادتـنـي أمـي وأنـا أكتـب عـن مشـهد اخترعـناه لدمانـا في الطفولة، طالبة إليَّ فتح الباب لقارع الجرس.

بنغازي 2001/1/25

الدائــرة

نهضت سعيدة فزعة من نومها وقالت لأهلها:

تأخرت عن المدرسة ...

وكان تاريخ اليوم لـه هيأة عطلة وله ضخامة مناسبة.

سعيدة غير متأكدة هل اليوم عطلة أم مدرسة؟

نسيت سعيدة التاريخ ...حقاً ما التاريخ اليوم ؟

حاولت أن تحسب بتاريخ البارحة فعدت بالعكس....أمس الأمس كان واحد وأمس واحد وواحد واليوم ..... نسيت أن توثق العد فقد مر عيدها في النصف، تذكرت أن عمرها مؤلم ....أعادت العدّ وفي منتصف الطريق إلى المدرسة راودها السهو، فسهت سعيدة عن يوم وبعض يوم ....لم تعد تدري تماما كم سقط من الحساب !

شكت في طريقها إلى المدرسة هل اليوم عطلة أم مدرسة؟

ولكي تدري استنطقت ثياب الناس والأولاد وشكل الحقائب والكتب وحجم الشطائر في أيدي الأطفال، وشجرة عريقة كانت تعد عليها عمرها، وجدتها مقطوعة هذا الصباح وبها سن من أسنان المنشار القاطع، حزنت سعيدة ،لذا أخطأت في العد مجدداً بسبب الحزن، وعزمت ألا تمر بالحديقة وصارت تحدث عمرها ....نسيت هذا اليوم التاريخ وقطعت الشجرة بلا مناسبة، فإذ هي أمام مدرسة وإذ بالمدرسة أمامها. شعرت سعيدة بضآلة المعرفة وسمعت صوت المعلمة تصرخ للطلاب صه صه يا أغبياء من منكم حضور ومن غياب؟

لم يأتها جواب، فقد غرب الصوت عند كلمة الغياب، رغم أن الشمس كانت مشرقة، ولم تجد سعيدة الباب فلابد أن المدرسة نقلت أو بيعت أو شمعت أو عطلت أو صارت شيئاً كالدائرة فدارت حول قطرها.

قال لها رحيم من الرحماء:

لا تجدي في البحث ...الباب هناك عند الزاوية.

وعبثا تمنت سعيدة لو يمنحها شكل المدرسة دليلاً أيقن من صوت المعلمة والطلاب على وجود المدرسة.

لكن الصوت لا يفتح باب ولا يصلح باب فهل ستعود سعيدة للبيت دون أن تعرف ما التاريخ لكي تعرف هل اليوم عطلة أم مدرسة؟.

عندما وصلت سعيدة إلى البيت سألت نفسها:

ماذا لو لم تكن عطلة؟.

وعند المدرسة سألتها نفسها:

ماذا لو كانت عطلة ؟.

وعند البيت سألت نفسها وعند المدرسة سألتها نفسها .... حتى طلع الصبح على سعيدة وهي تحسب وتحاول أن تعرف، فصحت فأدركت أنها تعرف أنه ليس للدائرة زاوية وإنها ليست تلميذة ولم تكن أبدا معلمة!.

بنغازي 2002/6/6

القبـــعات

وكانت قبعتي عريضة، تلك هي خاصيتي الأقوى، أكثر من مرة أدخلتني القبعة العريضة بجدران وقضايا ومحتويات لم تكن لتعبر عن روحي الحقيقية، حيث ألزم بتأليف صورة لشيء ما لست أنا محوره، أنا فقط جزء من شكله العام .

اصطدمت في مراحل حياتي بطاولات وكراس في مدارس ومقاهٍ وملاعب ومنشآت وطنية عدة، كنت أخرج منها بسبب التكسير وسوء التصرف، الذي يجعل كياناتها محدودة الأجل.

نمَّى ذلك لدي موهبة الدخول والخروج بكل شيء، وأي شيء، فكنت أتخلخل من المكان الذي لا يعجبني كي أنتقل لسواه ......

اللعنة ... على أتعس مصادفة تورطت بها قبعتي العريضة في موت أحدهم ، كان ميتاً بشيء غريب، هو الضحك ، الضحك على الأشياء كلها، ولما التمعت أمامه أوحد أسناني، حاول الاعتداء عليَّ رغم إنني في مأتمه، لقد كان ميتاً حقاً لأن أظافره باشرت النمو وهو

مسجى للصلاة عليه، وكان يحاول الضحك حتى آخر لحظة من حياته، والمصلون يرددون وراء الإمام أدعية الغفران لـه .

كانت قبعتي عريضة وصبورة، مهما اختلف المناخ فوق دماغي، عندما ضربني أحد الأشقياء على رأسي قائلاً لرفيقه، إذا ضربت المسمار على رأسه مشى مستقيماً، لم أخيب توقعاته حتى لا يَجدّ أكثر في إثبات صدقه.

الواقع أن حرارة المطرقة في تلك اللحظة، دفأت تابوت المرحوم الذي ننقله بقوة الخشب والحديد إلى آخرته، صدى المطرقة تردد في سمع الميت، لأن سن أحد المسامير لم تكن مدقوقة جيداً بالنعش.

فليغفر الله لجميع موتانا، الذين لا يمنعهم الموت من التنصت والاستماع لكل شيء، والذين يموتون في العادة من الضحك، لكن الموت يغالب ليميتهم عندما تأتي لحظتهم، ويتعلقون بأي مسمار لم تصطدم قبعته بالنعش المناسب لحافتها، لأنها ببساطة عريضة!

بنغازي 2005

القتيل الغالي

أنا من قتلته بيدي هاتين، في ليلة فيها كل الضوء، أضواء البيت والشارع وبيوت الجيران، كشاهدة من خارج الوسط العائلي.

لقد قتلته وأنا في كامل قوتي العقلية والعضلية والعاطفية، ولست نادمة على الإطلاق، صدقني، مهما سيقال عني من كلمات محملة بأوصاف ساخرة وغاضبة، إلا أنني أصر على احتفاظي بحقي في قتله وبإنسانيتي، كشيئين غير متناقضين، وأرى أن إقدامي على القتل لا يلغي شيئاً مني، فأنا لا أزال المرأة المانحة للحب على المستويين الآدمي والحيواني، طالما ملكت قدرة التعايش الإيجابي مع مخلوقات الخالق كيفما كانت.

إلا أنني أبدو حتى اللحظة مصممة على القتل إزاء الحفاظ على حياتي ومستقبلي، سواءً واجهت العدو نفسه أم سواه، ولن أقبل منكم تلكم التفسيرات التي تطرح على سبيل النكتة.

لم أقتل دفاعاً عن طعامي الذي ينهب سراً، ولا عن خزانتي

التي تخترق ليلاً ونهاراً، إنما لأدافع عن كتبي وأوراقي التي حاول فتحها والاطلاع على ما فيها من ملفات مشمعة، ورسائل مغلقة، وأوراق أخرى جعلتها منسية.

وأعتقد بأني لم أحس بوجوده في الغرفة، وإلا ما نمت عنه تاركة له حرية العبث بأشيائي وكأني ألاعبه الغميضة.

لم تكن مائدتي الأدبية تصلح له، لو فهم هذا. فحين اكتشفت إساءته لي في محتوى المنضدة، ودعت صبري، وفكرت بنعلي الذي سمحت لتفكيري بأن يصل لمستواه.

آه ... لقد أصبح في كل جانب من الخارطة الداخلية لرأسي نعلاً، فما إن شاهدته يقبل مقلباً بصره في أنحاء الغرفة، حتى كمنت له ولبسني عفريت النعل والفعل، بمجرد دنوه من مائدتي الورقية التي لم يجف حبرها بعد، كأنه استلذ طعمها وبدأ مرحلة من الإدمان عليها.

مسكت بالنعل، والشمس في رابعة النهار، وإضاءة النيون في كبد الغرفة، صوبته إليه، ثم سددته إلى رأسه وظهره، فأصبته، أحسب شيئاً انفلق أسفل يدي، رأسه ربما، أمعاؤه، دماغه، وربما أسنانه التي كسرت على حافة الورقة الشارع في قضمها.

لست أدرى تماماً ، فقد خشيت الفشل في قنصه، وهكذا حدث، أي نعم قد أكون قتلته ظلماً لك لكن هذا ما حدث.

لم أعرفه بغير قشرته الخارجية، فكيف لي أن أعرف في تلك

اللقطة التي جمعتنا معاً، بأنه محقون بخلطة من إنزيمات نادرة، وعصارات طبية مستحدثة قيد التجريب، لقد كانت لحظة اللقاء قصيرة جداً، أمسكت فيها بالنعل وكان هو راكضاً.

ليس ذنبي أن خسارتك العلمية، كانت بسبب هذا الحدث لأنك حقنته وهو ينوي الإغارة على مكتبي، وعلى فصل كامل من مسرحيتي، كان أجدى لو جعلته تحت رقابتك الذاتية وليس طليقاً، ربما كان المقتول خطأً ليس هو المعتدى على مائدتي ذلك اليوم، بل غيره هو الفاعل، فهل يليق تدليله حتى يتمادى في خطأ تفسير ذلك الحنان!

لبئس ما جره الحنان عليه، وعلى أبحاثك يا سيدي، ترى كانت أوراقي جزءاً من تجارب تجريها، عندما أطلقتَ ذلك الفأر المحقون لغرفتي؟!

يا طالما تغاضيت عنه، لكنه جعل رأسه القزم برأسي، حتى تملأّني الحقد.

اعتذر لقتلي الأب الأصيل لفئران اختباراتك، كي لا تضيع الوقت في البحث عنه، إنه يرقد رقدته الأخيرة تحت نعلي الذي انتعلته يدي، في اليوم الأخير من كتابتها نهاية مسرحيتي (القتيل الغالي) تلك التي أكل حضرته بدايتها !!

بنغازي 1997/3/1

الكـرثـي

يومـيـاً، وفي الـلحظة الـتـي تمـوت فـيها مليـون خليـة مـن خلايـا رأس حمدْ من نسل حمدْ ليس كمثله في العراك أحدْ، تولد لحمد خلايا جديـدة مطابقـة، لتـنقطع الصـلة بـين ذات حمـد والكهـرباء الداخلـية لحظة التـبديل، فيتـلمس طـريقه نحـو نفسه في العـتمة، يـرتطم بغروره، تدخل يـده بـين فكـي نـزواته الموزونـة والجامحـة، تقطـع أصـابعه ثـم مـا يلبـث أن ينبـت لـه مكـان الإصبع إصبعين ونصـف، لا يسع حمد المرور لسقيفة الـندم فحجم روحه أكبر من حجم الذات اللوامة، يتدحرج إلى غياهـب الذكـريات المؤلـة، يلـتقي بمـن غدرهـم وبـاعهم وظـلمهم ولفـق عليهم الأكـاذيـب ليصـل إلى منصـبه الحـالي، يقشعر بدنـه فيهـتز قلـبه فيقع فيكون لارتطامه صوت هاون نحاس يسقط من علٍ، يسترد حمد قلبه محنياً فإذا هو ورقة من أوراق الحمام!

يتعـثر حمد في قاعدتـه الذهبية القـائلة "تملق من هم أعلى منك وتعسـف مـن هـم دونـك " فـيكتشـف قـابليـته لأنْ يخـدع من قـبل نفسـه

ويكون هو المخدوع الأول والأخير!

مع الخلايا المحترقة يومياً تدخل رأس حمد أفكار بديلة يعالجها رأسه المحدود، فيسيء إليها أو تسيء إليه بسبب عدم الاتساق.

اليوم دخلت فكرة سداسية الأبعاد وثانية ثمانية الأبعاد، كان الذهن ضيقاً على الفكرتين، كما أن دخول الفكرتين معاً نجم عنه أحداث موجعة وخدوش وجروح أصابت طبقات حمد الذهنية، ربما تتعالج وربما لا.

وكانت فكرة ما تحتاج لحرارة متوازنة، كي لا تتجمد ولا تذوب لحظة امتشاجها بالطبيعة السطحية لذهن حمد البارد الحار، مثلما احتاجت أفكار لسطوة الشمس عليها لتتخلص من ظلاميتها واحتاجت أخرى لضربة قمر كي تتحرر من خشونتها.

عندما رفع حمد الكرسي من مكانه كانت فكرة ضئيلة غير مستعملة تشرف على حركة مرور الأفكار داخل رأسه، نمت هذه الفكرة من فضلة التفكير لديه. فكانت تقيم غيرها من الأفكار وتقعدها، تساند هذه للوقوف وتساير تلك، تدارى وتواري.

كان حمد ينظف مكتب اجتماعات الرئيس، عندما حصل له التبديل، قطع الأثاث أمامه محدودة ومعدودة، كان تنسيق وجودها في المكان وتكييف الفراغ بينها وتكييفها مع الفراغ الموجود عملاً متعباً، في هذه الأثناء سمع حمد في رأسه حركة الأفكار المختلفة التي

تنظمها أعقل فكرة لديه، تلك التي أخذت على نفسها الترتيب والتنظيم والتنسيق، أصيبت الأفكار المتشابكة بالاضطراب عند دخول فكرة مغايرة، كانت مجرد فكرة غير واقعية وغير مطروقة وغير مهمة، تخص نقل كرسي الرئيس من مكانه الضيق إلى زاوية واسعة.

المحير في الزاوية أن لها أربع مستويات، يمكن أن تكون جميلة ومناسبة،إذا جلس فيها على الكرسي للقراءة، وإذا جلس للتأمل، وإذا جلس للاسترخاء، وإذا جلس للحوار.

حاربت مجموعة شبه مؤتلفة فكرة بقاء الكرسي في الزاوية المانحة للاسترخاء، لأن الاسترخاء سينتج أفكاراً ناضجة في رأس لم يبدِ نضوجاً في غيرما الشر، وناهضت أيضا فكرة بقاء الكرسي في الزاوية المانحة للتأمل، لأن أفكار التأمل أخطر من أفكار الاسترخاء، وناهضت أيضاً فكرة بقاء الكرسي في الزاوية المانحة للحوار، لأن الحوار لا يتم إلا بلغة، واللغة مؤلفة من العبارات، والعبارات تختلط وتتداخل خلال الحوار، وتنتج في كل الأحوال أفكاراً مولدة، ما نفعها لعقل لا يستطيع تفسيرها؟!

جلس حمد متعباً على كرسي الرئيس، فراودته أفكار لم تكن لتخطر عليه ما لم يجلس على ذلك الكرسي، سرى داخل رأس حمد خمول وتخمر فكري، يشبه تخمر اللبن في الأمعاء الدقيقة، من نواتجه أفكار خلت من الرغبة فيها، وأفكار خلت من الحياة، وأفكار خلت من الحياء، وأفكار تشبعت بالهموم، وأخرى حضت على التأمل،

وأخري ارتيابية، وأخرى تمنح الأمان، وأخرى لا تتماشى مع نفسها، وأخرى لها قوة الأنهار في الدفق، وأخرى لها مفهوم التدبير المنزلي، وأخرى ضخمة لكنها تافهة.

فكر حمد في لماذا، وهو على كرسي الرئاسة الآن، تراوده فكرة تحول نوارتهم العائلية إلى كلبة محتفظة ببعض صفاتها الآدمية القوية، مستخدمة كبديل للنباح، النميمة والدس وتلفيق الأقاويل لتفريق الشمل العائلي؟

من كان ليصدق أن تتحول مجرد نوارة إلى كلبة؟!

ثم فكر حمدْ ما الداعي للتفكير في الكلاب البشرية التي يعرفها وهو في أروع تجلياته!

ثم قدر من جلسوا قبله على هذا الكرسي في لحظات فراغه من المهام الرسمية، من الكناسين والمساحين والهاشين والناشين، وقبل أن يسترسل في التفكير، قطعت جميلة مديرة المدرسة الثانوية حبل أفكاره وتذكر مشاركتها الوطنية في شنق أحد المتمردين وهو ميت!

جميلة شنقت الميت ليس لأنها تأخرت عن حفل القتل فوجدت كل شيء منته، بل لأنها شعرت أن ميتة واحدة غير كافية لذلك الميت بالأخص!

جميلة المدعوة للاجتماع اليوم، كانت فتاة أحلامه بعد الإفطار وقبل الغداء، وفي الظهيرة وقبل النوم، وقبل أن تصدمه بأنه ليس في

مخططات أحلام يقظتها على الإطلاق.

جرت فكرة حضور جميلة فكرة تغييب صالح، فلا حاجة بهم في الاجتماع لصالح، صالح مجرد مدقق إملائي لن يحتاجوه في الحوار!

أخرجت هذه الفكرة فكرة عن تدليك العينين والحلم بسعادة أبدية على كرسي كهذا الكرسي أو أقل، ليس أقل بكثير بل بقليل لكي يمشي الحال، لكن كيف سيصنع الكرسي؟.

وكيف ستصنع المطرقةُ والمنشارُ اللذان يصنعان الكرسي؟.

أخذ حمد يفكر في ثقل المطرقة حتى غشيه النعاس، وتساءل في نومه عن اسم الكرسي، كيف ينطق حين ينكسر جزء منه، هل من الضروري أن يقال عنه كرسي أم (كرثي) بحيث يعرف من لم يرَ الكرسي وسمع عنه أن به كسور؟!.

حان وقت الاجتماع والكرثي غير موجود، وحمد أيضاً لم تره عين، كان في الزاوية ذات المستويات الأربعة على كرثي الرئيس، تأخذه أحلامه للبعيد وتحت يديه الباردتين مكنسة الغبار، ميتاً خلال نوبة عمل فكرية!.

بنغازي 2004/9/29

اللوح الملعون عن سلالة الخشب

اكتب...

عندما توحمت عليه كانت لـه أربعة أرجل، ثم وهم ينقلونه أغرته عتبة الباب، فاهتزت واحدة وارتجت واحدة وغيرت واحدة اتجاهها وانخلعت واحدة وسقطت على العتبة، طبعاً لأن السرير مذكر والعتبة مؤنث.

اكتب...

ثم جاء سيار قال بأنهم يرتحلون إلى دار أخرى، فارتعدت أرجله من عتبة الغرفة الضيقة وكانت الرجل الثالثة أكثر ضعفاً تجاه العتبة من الأخريات..

تركوها عند العتبة وغادروا بما تبقى من سيرته الأولى.

اكتب..

حمَّ وصار ساخناً لا حمل لأحد بالنوم عليه، فتفرغ لأحلامه،

قفزت الرجل الوحيدة وخلته في زاويته المهجورة يصارع الحمى.

انتفض وارتعد فسقطت رجله الأخرى.

قال الفتى:

أضحى معاقاً، فماذا سأكتب ؟!

اكتب .... اكتب ...اكتب ...

بات يحلم أن يصبح كرسياً و يرشح نفسه لطاولة الحاكم.

هل أكتب أصبح كرسياً ؟

نعم ، وراودته الطاولة المصقولة التي هو حولها، فارتعش باطنه وارتجت أضلاعه بالحرور، فاشتاق لأم الخير واستجاب لحرارتها من وراء ظهر حرارة الطاولة الغليظة.

واكتب..

فركِبَ الرجل الافتراضية وخرج متخفياً بها إلى داره الأولى.

اكتب : القديمة جداً.

كتبت القديمة!!

نعم ...استمر دون تعديل شيء... أدخلته الرجل الخامسة على أم الخير وعندما بات في حضنها اطلع له الحضن أرجل زائدة ، احتفاءً بإخلاصه، فوقع صريع دهشته، توسل أم الخير أن يرجع قبل

صحوة الطاولة به، لكن أم الخير أبقته قليلاً... ولما حان وقت الرجوع وخلع الأرجل، رفضت الأرجل أن تقتلع نفسها منه!

ثم اكتب..

التصقت به... فتدخل الكلاب و الزردية لفض اشتباك الأضلاع والأرجل..

توقف .. توقف ..

ركز على فض التلاحم، اكتبها بشكل تبدو فيه موضع اشتباه غير قابل للتجلي.

وجيء بأنياب إضافية من أجل فك التلاحم.

وجيء بأنياب إضافية..

لحظة لحظة...اكتب قبلها..

لقد جفت الأنياب والتصقت، لا يمكن محوها، ماذا سأفعل؟

دعها تجف ثم حاول نزعها منه كما تنزع الشعرة من العجين..

لقد جفت، وجف العجين وواصلت الشعرة نموها.

إذن دعه يعود، وبظهره أرجل أم الخير، وبأرجل أم الخير الأنياب الإضافية، وبالأنياب الإضافية الشعرة، وبالشعرة النامية العجين.

اكتب..

كتبت، ورغم ظهره الأحدب استطاع أن يحكم البلاد، ويلوي أعناق العباد، لكن الشعرة التي استمرت في النمو لزمها الكثير من العجين لتمارس بقاءها.

بنغازي 2005/10/13

المجموعة الشمسية

كان دائما يسير إما ورائي وإما على جانبي، لكنه لم يتعداني مرة، عدا اليوم، رأيته يتقدمني إلى الحفرة وكأنه يفديني من السقوط فيها أو يستجيب لإغرائها، كنت أعلم بوجودها إنما لماذا وجدت لست أدري؟

هل حفرت للماء أم للكهرباء أم لخدمة الهاتف أم لنفسها أم لنا أم للشارع أم هكذا ؟!

لست أدري؟

رأيته يهوي إليها ويصطدم بقاعها، جانبت حاشية الحفرة لأرى ماذا حصل له، ظهر متداخلاً في بعضه دون تمييز لشيء فيه عن الآخر، بل أن حدبة في قامته بدت ظاهرة جداً.

بدأت أشعر بفقدان ظلي بعيد سقوطه في الحفرة التي فاجأنا وجودها، وهكذا أضحيت بلا ظل، وما كانت هذه الحالة لتشكل لي

الضيق لو أن الناس لم يتضايقوا منها ويشتكون من سلوكيات ظلي المفقود في الحفرة التي وهبها الله لنا دون طلب منا ولا تمني، قيل لي بأن الظل الذي ظهر مني له هيئة (جاك بلاك) بات له هو الآخر ظل له هيئة آلية نعجة تعتليها قرون استشعار، وكلاهما فيه عوج مستقى من الحدب.

عرف (جاك بلاك) بالنباح الفجائعي على الناس، مما أرعبهم وأمرضهم بالضغط الفوري، وتهم أخرى لا ينبغي قولها، فيما اتهم ظله بالخنس في الشوارع والأزقة خلف النسوة، وما إلى ذلك من مسالك مشينة.

من البشاعة أن تسحب من فراشك لتحاكم على تهم لم تفعلها أو فعلها طرف فيك ولا دخل لبقيتك به، فجريمة القتل التي تقوم بها اليد تقطع فيها الرقبة !

وجريمة الاغتصاب التي تزل فيها الأعضاء الحساسة يحاكم فيها الجسم بأكمله ويمنع بأجمعه من الحرية!

قيل بأنهم رأوا ظلي الأعوج على الحدود يعين المهربين والجواسيس والمخربين، ممارساً هوايته الأبدية في حفر الحفر للآخرين!

ذات مرة حفر حفرة سقط فيها أحد أصدقائي المخلصين ليكون جزاؤه سنماري، وحفر حفرة لأكثر الزملاء إزعاجاً لغيرته وحسده، فوشى به وشاية محبوكة لبست الغافل بطيبته وأذهبته إلى

دار خالته مع 154 سنة إضافية!

وغير تلك الحفر كثير، لو عددتها.

أما ظل ظلي الأكثر أكلاً ونهماً، فهو كتلة عوجاء يستبد بها جوع مزمن للعض والنهش والمضغ.

ذات مرة وقع صدام بينه وبين ظلي المباشر، أي بين ظلي وظله، فدبر أحدهم للآخر مكيدة ليظلله بها، فنجح رغم ذكاء الظل الثاني، وما كانت المكيدة لتنجح لولا أن زمن وقوع الذئب الشاطر برجليه الأربع في الفخ، قد حان بالنسبة للظل الثاني، لقد ضحك عليه ضحكة مكلفة أدت إلى موته بالحسرة، حين أسقطه في حفرة لا مخرج منها إلا بالحفر تحتها!

كانت حالة البقاء دون ظل حالة مزعجة بالنسبة لشخصي المصحوب دائماً بمن يؤنس وحشته ويبدد وحدته.

لقد شعرت بأنني دون أظافر تحك لي جلدي، وبلا عظم يستقيم به وجودي وبلا جلد يقيني عوامل التعرية الاجتماعية والجغرافية.

بحثت عن ظل بديل فلم أجد في سوق الظلال ظلاً بالمواصفات المطلوبة، أعلنت في وسائل الإعلام عن توظيف ظل لا تشده الحفر ولا يعوج أبداً، أردته ظلاً لظل مستقيم ليس إلا.

فاجأتني طلبات التوظيف التي غطت منزلي، خرجت من النافذة لأنظر إليها، كانت مغرية لأن يرمي المرء بنفسه في حفرة من أجل الاحتفاظ بها كهالة له.

طلبت من الظلال لما تكاثرت حولي طلباً يتحقق به التمايز بينها، طلبت من كل ظل أن يرمي بنفسه في هوة سحيقة لا آخر لها!

وكانت مفاجأة.

سقطت كلها وتركتني بلا ظل ...

مؤؤؤؤؤؤؤؤؤقتاً!

بنغازي 2004/11/4

الهـوية

تجنبت الرافعة التـي تقطع الشارع مثلي... رأيت واحدة أخرى عند شـارة المـرور، وكانـت ثالـثة بعـيدة جـداً، تشبثت بمقـبض بـاب الحافلة وهي تمضي متمايلة، مد رجل يده إليَّ وأركبني، كـان يجلس تقريباً خارج حدود الحافلة المسرعة.

مالـت الحافلـة نحـو اليمين، فملنا معهـا، وتخطت يـدي الأسطوانة التـي تتوسط السقف طولياً وتتدلى منها أنشوطات جلديـة... مددت يـدي ثانية للقبض على الأنشوطة فمالت الحافلة جهـة اليسار، ففقدت توازنـي ووقعـت إلى سـطحها، كانـت المقـاعد ممتلـئة بالـركاب ونصـف أنشـوطات الاسطوانة ممسك بهـا، تخطت نظـارتي وجهي في الاهتزاز الحـالي، أردت اللحاق بهـا، فانزلقت الأوراق من تحت إبطي، مد راكب يده تحت كرسيه ليساعدني في التقاط نظارتي قبل أن يهشمها شيء، ومد آخر يده ليلاحق أوراقي أسفل مقعده، انزلقت هويتـي أسفل قدم رجل من الريف، لمحت صرصاراً يمرق مسرعاً فوق قدم الريفي الأخرى، إلى فجوة ظهر منها الحشو

الجانبي للحافلة، مالت الحافلة فضغط الريفي ظهر المقعد الذي أمامه برجله ليقي نفسه الوقوع، سال ماء طيني من حذائه المعصور، اختلفت رائحة تربته، تلطخت هويتي ثم اختفت عن عيني، كنت ما أزال أحاول استعادة توازني للوقوف، ارتطمت بالمقاعد...اتسخت بذلتي الجديدة والتوت ربطة عنقي على رقبتي، ضج الركاب الذين ارتطمت بهم، قائلين عبارات دفع كثيرة، دفعني بعضهم عنه لأنه بالكاد يتوازن في وقوفه، وحاول بعضهم تمكيني من الأسطوانة ... صرخت بالسائق لما اشتد أمري :

هيه يا... خفف السرعة .

رد حالاً وكأنه كان ينتظر كلامي ليضاعف جنونه:

ما نيش على فص خاتمك ولا خاتم أمك.

وانعطف بالحافلة المحتشدة قصداً إذ لم تكن الطريق منعطفة أصلاً!

مضى هكذا، وخمنت من حركة الحافلة إنه يدور حول جزيرة، لكن السرعة لا تنخفض مازالت كما هي!

أمكنني أخذ نظارتي لتستقيم المشاهد أمامي، وتأبطت إضبارة المستندات أقوى مما سلف، نفضت تراب الحافلة العالق ببذلتي الجديدة ، وقد نجح شاب يمشي بتبديل قبضتيه على الأسطوانة في الاقتراب مني، ورفعي بإحدى يديه عن سطح الحافلة الراكضة، كانت يده قوية، أجل قوية وحارة، لم أتركها رغم استعادتي وضع الوقوف وتمكني من الأسطوانة، صاح السائق وهو يوقف الحافلة فجأة:

يا بن الكلب كسرتني... يا ولد الذين ...يلعن أبوك وبو اللي خلاك أتسوق...

ظننت أنّا وصلنا، حين توقف السائق عن القيادة ، لكنه تخلى عن المقود ليعارك بيديه سائق الحافلة الثانية ، ثم أخرج عصاه من أسفل كرسيه وكذلك فعل الآخر في حوار متفق على تفاصيله ونزلا يتضاربان، ويكملان الحوار الناقص بينهما.

أدركت أننا لولا جنون الحافلة الثانية ما توقفنا عن الاهتزاز، ارتفع صياح السائقين وأخفضَ ركاب الحافلتين رؤوسهم أسفل الكراسي مفتشين عن محافظ ورخص ونقود وأوراق وأشياء أخرى سقطت منهم أو ممن سبقهم من الركاب.

شعرنا بالحافلة ترفع رأسها بكبرياء وتسير سيراً هيناً، كان السائق الجديد رافعة البلدية التي ما ارتحنا على مقاعدنا وسررنا بوقف الاهتزازات حتى ألفيناها تتوقف بنا في المنطقة المخصصة للخردوات، بالطبع لم نكن هناك وحدنا، فخلفنا الحافلة الأخرى وأمامنا مئات الحافلات الوادعة كما لم تكن مرة ... لم يأكل الصدأ ولا الخراب ولا النسيان حرفاً من أسماء المناطق والبقاع التي حملتها.

مؤكد كان يركبها أناس منا في زمن مختلف!

بنغازي 2004/4/9

أوراق جافة

- نعم إنه مرتب هزيل .

- أكثر من هزيل يا رجل .

- بل أكثر هزالاً منا !

- هزيل منذ عهد جدي وأبي، لم يكن قادراً على إشباع نفسه أو إشباع أحد!

- تباً ورثنا كل شيء من آبائنا وأجدادنا حتى الحظ.

- لماذا قفلوا الباب؟

- لتفادي الجلبة والصخب.

- غداً عيد، جميعنا يحتاج المال.

سعل سعالاً جافاً وهو يقول جملته الأخيرة، ثم أخرج من جيبه علبة صغيرة، وضعها في فمه واستنشق ريحها، عاد ينظر ساعته مدخناً

بشراهة، كان الطقس بارداً، والسماء تمطر بتقطع، نزلت طاقية الصوف على جبهته، فلم يبدُ لديه شعراً إلا في ذقنه.

ارتفع الآذان ... ذهب بعض الواقفين للصلاة، منصرفين عن التزام أماكنهم عند باب المصرف ...لم يتخلَ عن جواري، صلى إلى جانبي، جلسنا نتلوا بعض الأوراد بعد انتهاء الصلاة، اخترق تلك اللحظات بقوله وهو ينظر لجهة محددة:

- إنه هنا، هزاله لا يصدق، ألم ترَ هيئة الإمام؟

لم أرد بأكثر من تحريك رأسي بحياد.

إنه معنا في كل مكان، تراه يعرف العيد هو أيضاً.

ابتسمت وقد بدا لي أن الرجل جن:

هيه يا رفيق .... أفق .... انظر فتحت الشرطة باب المصرف، يبدو أن الرواتب جاءت.

أمام إحدى البنايات التي تجاور المصرف كان ثمة طفل يلهو بدراجته ويكثر من استعمال الجرس، كان صوت الجرس يشدنا في كل مرة يضغط فيها الطفل عليه ... تعود رؤوسنا إلى داخل المصرف بعد الالتفات لصوت جرس دراجة الطفل.

نهض رجل فقد حلمه وشد الطفل من أذنه قائلاً له:

توقف عن الرنين، فلقت رؤوسنا أكثر مما هي مغلوقة!

الهـزيل جمـع هـزاله وجـرى، ازداد هـزالاً، استثمر نحافـتـه في الانـزلاق بين الصفوف، لم يشعر بـه أحـد، فتح لنـا البـاب، كـان البـاب من حديد مثقلاً بالأقفـال، وفي كـل قفـل أربعـة ألسن حديديـة، ولكـل لسـان طـول وعـرض، ولكل عـرض درجـة من الضغط ولكل طـول درجة من الثبـات، الجهـد في الطـول والعـرض لـن يكـون واحـداً في جميـع الألسن إن تخـلخل لسـان أو هـزل جهـده، سيترتب عـلى ذلـك تـولـي قفـل من الأقفـال البـاقـيـة وظـيفـة اللسـان الهزيل،عـندهـا ستضعف متـانـتـه ولـن يكـون جهـده بنفس قوتـه الأولى، عندهـا سيسهل تشتيت جهـد بقيـة الأقفـال في الحـراسـة، ويسـهل التـقـليل مـن أهمية الحديد والـثـقـل في الحمـايـة، ستغدو الحمايـة هـزيلةً، مـا غـدا البـاب هـزيلاً، وإن لم يبدُ هكذا من هيئته.

تحـرك وراء زجـاج نـافذة الصـرافة شـخص هـزيل جـداً، حـان دوري لقـبـض المرتـب، كـان هـزيلاً كـالعـادة، بـل ازداد هـزالاً بسـبب الاستـقـطاعـات المستوجبة عـن السلف، استلمت نقـودي، عدهـا لـي، نسـخ نفسـه بـين الأوراق الـنقدية الـتـي قبضـنـاهـا، في السـيـارة جلـس معي متحـولاً إلى هزيلي الخاص، حالي حال من غادروا المصرف ولكل منهم هزاله الخـاص بـه، امتدت ألسنة متعددة من الألسن أمامي، كل لسـان يمثل قطعـة ضعيفة بجهـد محـدود، يمكـن أن يصيبهـا الهـزال إن أعطيت وظيفة اللسان الذي يسبقهـا أو يليهـا !!

وكـانـت الأوراق المعدنية التـي يحرسـهـا الحديد من ورق!

هكذا قال قبل أن يفترقا قريباً من الطفل الذي يقود جرس دراجته !

بنغازي 2005/3/27

بوجلدين فقط

(بوجلديـن) أصـابتـه العين، فمـرض بمـرض غريـب حير الأطبـاء في أرجـاء الـبلاد فـ(بوجلدين) أتـى الدنـيا مـرتـدياً جلديـن فقـط على جسده عكس النـاس الذيـن يتمـتعون بسبع طبقـات جلديـة يـرى فيهـا (بوجلدين) عـاهة كمـال تـزيد عن احتيـاجـات البقـاء.

حـين بـدأت جلدتـه الأولى تجـف و تتشـقق مـتـأثرة بعوامـل الاحتكاك والمخالطة، توجس (بوجلدين) شراً ومكث في المستشفى لا يبرحه إلا لآخر يقولون لـه بأنه الأفضل.

غـير إن انسـلاخ وتسـاقط جلدتـه لم يـتوقف بـأي دواء وفي أي مشفى، بل إن التساقط هدد الجلدة الثـانية السليمة.

شعر(بوجلديـن) بـالعـار وشعر بـالخجل وبدنو الشمـاتة، فغدت آلامه غير سطحية وغير مرئية، فهو يخسر زوجته وبنيه وبيته وحريته في شتى الأمـاكن، لأنـه مخلـوق مكشـوف العـورات، عـاري التفاصيل وعرضة لنهب الآخرين .

وقد جاءه ساحر سمع نبأه فقال له:

ما تعطيني نظير أن أحلك في جلد أي إنسان تختاره ؟

لم يصدق (بو جلدين) قول الساحر، فأخبره هذا بالرهان الذي راهن به سحرة البلاد، وهو قدرته على إحلال (بوجلدين) في جلد مخلوق آخر!

وافق (بوجلدين) أمام رغبته في الاستمرار حياً وفي التحرر ومغادرة المشفى الذي يحده عن الحياة، فوقع شيكاً للساحر بجميع ما يملك، الزوجة والمال والعيال والدار، وسأل الساحر:

ما يضمن صدقك ؟

فنزع الساحر جلدته الأولى وكأنه يقشر برتقالة أو موزة قائلاً بصرامة:

ستبقى هذه على كلب إن لم أفعل!

احتار (بوجلدين) في أي الناس يختار ليحل بجلده وكان متردداً، لكن إعجابه بشخصية صديق عمره جعله يختاره للحلول فيه!

سرعان ما سلخ الساحر جلد الصديق، وألصقه على (بو جلدين) وأدخل (بوجلدين) فيه، فتوارى أو تلاشى الصديق الذي كانت له الوكالة على أعمال (بوجلدين) وممتلكاته، حتى قيل بأنه نقل العدوى عن صديقه وأنه ربما اختفى هرباً بأمانة الصديق الذي ائتمنه عليها!

دهش الناس من عودة (بوجلدين) معافاً، يبيع ويماكس ويعاكس ويشاكس كما هي طبيعته وعادته في السوق، وأصبحوا يؤولون عودته بأنها إنصافٌ سماويٌ لصدق نيّاته وطيبة سريرته التي حولت الصديق الغادر إلى سليخ وأعادت للسليخ عافيته.

طلق (بوجلدين) زوجته ليتزوجها المراهن، ونفذ اتفاقه مع الساحر بإخلاص، ولأنه خسر كل ما عنده في سبيل الحصول على الجلد الذي يلبسه وفيه يعيش ومنه يمارس تلونه، بدأ حياته من الصفر، أي من البداية وغدا لا يفارق عتبات الأسواق، يكنز الأموال ويخبأها تحت جلدته فتكون طيلة الوقت في حراسته وفي مأمن عن اللصوص.

زاد من جشع (بوجلدين) أن الجلد الجديد قارب على الامتلاء، وأن السوق صارت في قبضته، فأكل شريكاً له في بضاعة لهما معاً، لكي يملأ الفراغ البسيط المتبقي في كيسه الجلدي.

لقد انتشى (بوجلدين) بالقوة العجيبة التي جاءته مع الجلد الجديد، فقوى وبغى أكثر مما كان عليه في السابق، فحقق كل ما يريده بأبسط التكاليف وأقل وقت، ثم إن الناس صارت تخشاه وتطيعه، إلا الشريك المفلس الذي ناطحه (بوجلدين) بقوة، فهذا قد دعا الله أمام قضاة السوق الذين حكموا لـ (بوجلدين) ضده، أن يكره جلده وأن يكرهه جلده الجديد، فما كان إلا وقت قصير حتى حلت دعوة المفلس بجلد (بوجلدين) وبعقله الباطن،

فتخاصم (بوجلدين) مع نفسه ومع جلده، حتى مزقه بالسكين، منعه أهل السوق، لكنه في النوبات التالية أعمل في جنباته مدية من مدي (التبو) حادة النصل، بينما الجلد يفلت نفسه منه ، وكأنه ثعبان يحس بالخطر.

رأى الناس بمن فيهم الداعي المفلس أو (بوجلدين) يجرى عارياً في الفندق البلدي، أكبر أماكن لقياهم، وهو يطارد جلده البديل بالمدية الجائعة، فضحكوا لأن (بوجلدين) جن من التخمة بالجلود البشرية التي أصابها في مقتل، وهاهو يطارد الثوب الذي أهدته له الطبيعة كشفاء وغطاء، كان يتصرف كالمجنون فعلاً، ولمَ لا والجلد فر بجميع الأموال التي دسها فيه!

لاحق (بوجلدين) الجلد السليخ حتى خرائب المدينة، هناك اختفى في كوخ قديم هالك، عزل فيه صديقه السليخ، حتى تأتيه المنية اللائقة به فتستر فعلته و عريه من الجلد.

كان الساحر في ربوة المدينة يتحدى رهان السحرة له بتعرية (بوجلدين) من كسائه الذي طرحه عليه، ومن ماله الذي جمعه وعدده.

دخل الجلد على صاحبه مليئاً بالنقود فلبسه وهو نائم، شعر الصديق بخشخشة شيء ما فظن نفسه يحلم كأن ثعباناً زحف فوق جسمه فلدغه فمات مسموماً، وهاهم حملة نعشه يضعونه في الكيس

الذي يصدر الخشخشة كي يدفنوه، لكن الميت لا يفتح عينيه وهو قد فتحهما ورأى بوضوح بهما جلده الذي رد إليه مع أموال كثيرة كدست بجانبه.

ورأى أيضاً (بوجلدين) يتجه للكوخ عارياً، يتعثر في الأشواك التي تدميه، فيرفع القدم صارخاً ويطأ بالأخرى مولولاً وفي يده مدية (تبا ويه) يسيل منها دمه!

كان الساحر أعلى الربوة يري مجتمع السحرة قوة براهينه، في استطاعته إلباس (بوجلدين) المرة القادمة جلد تمساح، إن بقى منه حياً ما يؤلف فأراً!!

بنغازي 1999/9/13

تكرار التكرار

- 1 -

إلى الآن لا أدري ماذا رمت من دخول ذلك البيت، ومن التعرف إلى تلك المرأة التي جُعلت صاحبته، والتي قدمتني لزوجها ليلة شتاء نزل فيها البيت كالطارق المستجير، عبر فيها الزوج عن شعوره بالبرد والجوع أكثر من شعوره بوجودي!

وما كدت أعلم حتى رأيته لا يتواجد معنا في البيت كثيراً.

سألتها بإلحاح عنه فكانت تجيب " إنه أسير عمله"

أسألها "لماذا يعمل الأسير، وهل العمل يبعد الناس عن بعضهم؟"

تتنهد وترد بسؤال " ماذا ترومين من وجوده إلى جوارك ؟ "

" لا أدري........ لكنها أشياء لا أجيد التعبير عنها .. أحبه ولا أحب اغترابه عنا وهذا ما يجعلني أكره عمله "

تسأل " ألانه سبب ابتعاده ؟ "

أحرك رأسي إيجاباً بينما تقاسيم وجهي تشير إلى عدم الإدراك

" هذا ضروري لاستمرار معيشتنا "

بذا تقرر المرأة التي اختيرت لإنجابي بصعوبة لما لها من مشكلات تكوينية في الحوض، تقرر هذه المرأة .... أمي ....بأننا نعيش من غياب أبي ، الذي لديه قائمة غير مفهرسة منحني إياها بشكل أكثر خلطاً وهو ينتجني، وله غموض جئت منه لا أفهمه، دفعني للتصور أن وراء أي غياب حياة لآخر أو حيوات لأكثر من واحد .....

أما في حال توقف عن الغياب فسوف تنتهي ربما هذه المعيشة التي نعيشها أو سيترتب على تواجده اليومي معنا مآزق تكاثر السكان في هذا البيت الصغير والذين سأقبل بهم أخوة لي شئت أم أبيت.

-2-

تعلق قلبي بالمكان، فلأول مرة أعرف ما هو المكان، كنت في هذا السكن أرسم دوائرَ صغيرة وكبيرة متداخلة ببعضها البعض على حائط من حيطان البيت لا تراه أمي، مشيرة إلى أصغر دائرة بأنا .... تليها دائرة تشير لأمي ثم يليها والدي فأخوتي واحداً واحداً...

كنت أحب زمن تواجدي في المكان الذي أكلت وشربت فيه، وعندما كبرت...... .صار وفياً لاستقبالي في أي ركن.منه، استقر في

عقلي عبث ما يصنعه أبي لأجلنا فطالما ما يحدث لي ولأمي أمر سخيف ينجم عن استغلالنا لعرقه، بحيث ينصرف أغلب ما ينتجه من عمله وغيابه إلى العدم ..!

أخذتني أمي إلى مكان مختلف عن بيتنا، فوجدت نفسي في عالم جديد يسمونه المدرسة، رأيت فيها أفراداً من معادن شتى، أكثر مما يخطر لي، جاءوا من أماكن مختلفة ، وفي المدرسة عانيت مرارة المقررات التي قابلت فيها أناساً رحلوا عن الحياة، تكلموا في مختلف الشؤون التي رأوا أهمية إخبارنا عنها كي نبدأ من حيث انتهوا.

أعلمت والدتي بأن بعضاً منهم يسرق وقتي بلا طائل، فتظل تحيرني بنفس السؤال الذي لا أدرك له جواباً :

- وماذا ستصنعين بالوقت ؟

كأنها تسألني شيئاً سأعرفه بعد حين، إنه وقتي وفقط شيء أملكه ولا أحب أن أعطيه لأحد، أحب أن أبذره على مزاجي .

تتعب أمي من محاورتي، غير أنها تسلك سبيلاً آخر لإقناعي وهو شد الثدي الذي أرضعتني منه والتلويح بقطعه ورميه للكلاب، فأشعر بأن أمراً جللاً سيقع لأمي لو أنها قطعت تلك الفرز دقة المتدلية من اللحم، فأتعمد دخول الفحوصات كسباً لرضاها فقط.

لم أخبرها بأني سأستعين على اجتياز الفحوصات بالغش، وبالغش أيضاً سأستعين على المرور من الذين لا أميل لمعرفة ماذا

قالوا في كل كبيرة وصغيرة من هذا العالم!

ثم لم يمض كثيرٌ من الوقت حتى ظهرت نتائج تلك العلاقة التي نشأت بيني وبين المقرر الدراسي للأموات، كانت النتائج تقول علاقة ناجحة ولها من التقدير ممتاز.

أنا أكثر من يعرف بأنه لولا الغش ما كانت العلاقة لتنجح بقوة، حتى علاقتي بطبع والدتي فيها شيء من غش، حدث هذا بعدما أخذت كتابي الإلهي، وخرجت من البيت الكبير، أي إنني استبدلت مكاني بآخر دخلته إلى الأبد.

لست أدري كيف سرت إليه، بكت أمي لفقدي كثيراً وطويلاً، وفوجئت بالناس الذين امتلأ بهم المكان الجديد يعلمون بخائنتي التي ارتكبتها .... وهي الغش، كنت خجلى جداً من أحد أساتذتي الذي وجدته هناك، ليحاسبني على خداعي له في المادة التي درسنيها، لقد اكتشف إنني كنت أغشه وأغش المدرسة كلها ومنظمات التربية والتعليم في العالم!

- 3 -

كرر والدي المحاولة المفتعلة للولادة بعدما اتفق مع أمي في نفس المكان وفي نفس الحدود الملموسة لجسديهما، وكان من اشتراطاته أن يتعانقا حتى يغدو الجسد للجسد مكاناً.

أمي ودت الاطمئنان أكثر على أن حدود والدي في قبضتها، لذا أكثرت من أفعال التأكد، كوضع اليدين خلف الظهر.. أبي لم يفعل فعلها إما ليقينه المرتفع أو لأنه لا يعير المكان أهمية، أو ربما لأنه اعتاد اختلاف الحيزات!

- 4 -

لم يُترك مكان اسمي على قائمة الطلبة الأوائل فارغاً، وضعوا به اسماً آخرَ لا أدري نسبة تعامله مع الغش التي ملئ بها الحين، وهذا ضروري إذا ما كان اسماً غير مطعم بالمتطلبات التي يحتمها ملء المكان عليه.

وقد أثمرت محاولة أبي وأمي عن ملء مكاني المنزلي الفارغ بولادة طفلة جديدة أعطوها اسمي بما أني لن أستعمله، كذلك أشيائي الصغيرة والكبيرة عدا ساعة الوقت التي شغلتها والدتي لحظة قدومي للحياة ، بمعنى أن زمني الذي شرع لي بقي ملكي حتى بعد أن غادرته، لم يستعمل مرة أخرى، كان لأختي التي أخذت اسمي بعدي ساعتها التي بدأت العمل في تمام الصرخة الأولى لها.

تركت ساعتي تعمل على الحائط الذي رسمت على وجهه الآخر تلك الدوائر المتداخلة، أمي لم تقطع عادة حساب أعمارنا بالساعات حتى بعد أن رحلنا، ففعلت الشيء نفسه مع الولادة الثانية التي اختلف زمنها فقط .

أكلت أختي وشربت وتعرفت على مستخدمي المكان واختلفت عني في أنها كسرت أشياء عديدة في المنزل، أجزاء مهمة شكلت المكان بالنسبة لوالدتنا، وبعد أن أخذت أختي كتابها وهي مثلي أكلة شاربة، شعرت أمي بالحسرة والندم لأنها فقدتني بالتعسف في استعمال حق المعرفة بسبب عدم رغبتي في المعرفة، وفقدت أختي بالتعسف في استعمال الدعاء بالشر بسبب إنهائها أعمار آنية الزجاج الفاخر التي تزين البيت وبعضاً من الصلصال المهين، رغم معرفة أمنا بأنها ممتلكات ستؤول للفناء مثلنا، وأن مصيرها هو التشظي رغم غلاء أثمانها.

أمي صارت مبتئسة لأن فقدنا كسر قلبها، فبات يشبه فراغ الفراغ.

- 5 -

في التكرار الثالث لم تخفت لأمي نية في إعادة السيطرة على المكان والزمان والروح ، وحدث التكرار الثالث على عسر، حينما عاد أبي ذات إجازة له وكان محساً بالفراغ، إلا إن أمي كانت الأكثر تفريغاً للفراغ حتى فتحت كوة على العدم.

عقب ذلك جاء أخي، لا أعتقد بأن أمي في محاولة تكرارها أكثرت أم قللت من وضع يديها خلف ظهر أبي، فهي حزينة لفقدنا، أنا وأختي.

بعد مجيء أخي التصق والدي بالبيت وشغل له ساعته الخاصة. أكل أخي وشرب وتعرف على المكان وحدوده وذهب إلى المدرسة كمكان آخر للحياة. لكن الأعين كانت تلاحقه فأطاحت به. التقط كتابه سريعاً وذهب في إثرنا أنا وأختي، لم تحس والدتنا بأننا ناديناه إلى نفس الجهة التي ذهبنا إليها، الزمان والمكان توقفا لديها، أمي كانت سيئة الحزن وزاد تفريغها للفراغ. أخذت ساعاتنا الثلاث إلى صدرها، وغدت دائمة البحث عن كتابها، ضاق البيت عليها، صار الحيز الجميل ضيقاً كعين الإبرة توقفت الساعات على صدر أمي وتوقف كذلك صدر أمي.

بهتت الدوائر التي رسمتها خِفيةً على الجدار الخلفي للمنزل، شيء لم تفعله أمي قبل اللحاق بنا وهو قفل المنزل، وإيصاد نوافذه حتى لا تعزف فيه الريح أنغاماً حزينة يائسة. شيء لم أفعله لفرط جهلي هو رسم الدوائر إلى ما لانهاية. فثمة دوائر غير معروفة سوف تأتي لشغل الفراغ الذي خلفناه!

شيء لم يفعله أبي هو الاستمرار في الغياب. شيء لم يفعله لنا الزمان والمكان هو أن نجتمع فيهما معاً!

بنغازي **1999/7/1**

زوار

شاهده يتجه إليه، غطّى وجهه بيديه، مكث هكذا حتى اتخذ سبيله إلى آخر.

شاهده الثاني، لم يكن من نفس فصيلة الأسبق، ضرب صدره بقبضتيه، نكس رأسه بين ساقيه المرنتين، أعطاه ما بيده اليمنى من أصابع، ثقةً بأن المجموعة كلها ستخضع رؤوسها باتجاهه، لكنها لم تفعل، كانت منشغلة بالبحث عن قمل بعضها البعض، وكانت أصابعها غير متفرغة أيضاً!

ارتاب في العزوف الجماعي عن اشتهاء الموز!

بخطوات سريعة قفل عائداً ... شاهدته الحديقة في قمة فزعه من نفسه، ضيع الباب، دخل مضطرباً لقفص مفرغ، تأكد بعد تخطى حدود القفص أن حيوانات الحديقة رأته، بما فيها القرود الباحثة عن القمل.

لم يكـن بيـنه وبـين هـذه الـلحظة مسـافة أو زمـن، حـتى توجـه الزوار إليه، وأيديهم مزروعة بأصابع الموزعن يمين وعن شمال!

1998 بنغازي

زوج مغشوش

لم أعد أستطيع تجاهله وصرف النظر عن الضيق الذي يسببه لي، ضايقني منذ الأيام الأولى لي معه، ثم زادت مضايقاته لي ولم يتسع أو يبدي مرونة في أي مكان كنا فيه معاً، رغم أنني لم أملك نفسي تجاهه لما لمحته مصادفة لأول مرة، كانت لحظة قصيرة تلك التي استغرقتها في النظر إليه، كنت خارجة من مكتبة ولمحته على الرصيف المقابل أمام محل لبيع الأحذية، كان عنقي ملتوياً إليه، بينما الشرطي يفرغ رئتيه في الصافرة لتفريغ الشارع المزدحم من السيارات.

ثم نزع صافرته عن فمه قائلاً لي بغضب وأنا أتمهل في تأمله:

أنتِ يا ست أسرعي ، اختنق الشارع وأنت تنظرين!

كانت نظراتي تخرمه ورأسه منحدر إلى أسفل... يا الله ما أقسى ما تفعله بنا النظرة الأولى، تلك الاشتعالة الشيطانية المتنكرة،

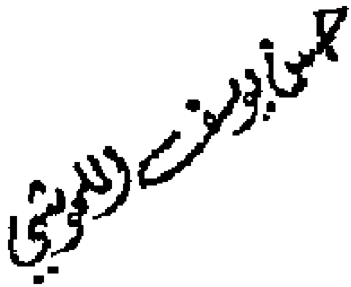
النظرة المشاكسة، الاشتباكة الموجعة التي تلغي العيوب وتظهر الحسنات، فكأن داخل السوق بالفعل أعمى .

لم أكن لأصدق بأنه ضيق ومحدود ومؤلم كما قالت صديقتي التي كانت في رفقتي يوم أن رأيته ووقع من قلبي موقعاً حسناً، ما كنت لأصدق مقالتها إلا بعد أن خرجنا إلى رحلة جبلية لنعد دراسة عن التربة الملحية، تسبب في تعثري وتلكؤ إسهامي في خطوات الدراسة الميدانية، وكان تأخري عن المجموعة واضحاً بسببه، كما أنني كنت طيلة الرحلة متبرمة ومتعبة من ضغطه على أعصابي واستحالة فكاكي منه.

كان جمود جلدته لا يطاق في أول خروج لي به، وقد كذبني صاحبه في جميع الصفات الوراثية التي ذكرها لبني جلدته، وجميع السمات التي أغدقها عليه، منها إنه يشبه زوجي الأول، الذي أعربت عن حبي وتمسكي به أمام الجميع منذ الشرارة الأولى التي أحدثها مرآه في نفسي، فلم أتوقف عن التفكير به ولا عن إخراجه من مخيلتي إلا ليصبح واقعاً، ولم يهدأ لي بال إلا بعد أن طالته يداي ودخل غرفتي.

سقى الله أيام الزوج الأول،مقارنة بالدمامل التي أحدثها الزوج الثاني بقدميَّ والتقرحات الناتجة عن الاحتكاك المباشر بجلدته القاسية المتيبسة، راودني إحساس كبير بخسارة الرائع بلا

نظير لروعته ، زوج الرحلات الأول، وأنا أعود لبيتي في المساء وأخلع الحذاء الجديد عن قدمي رامية به أول جدار يواجهني.



بنغازي 2002/1/2

حسن أبو يوسف اللويشي

سيد الست دقائق

مازال سامب وسيده صديقين منذ أيام دراستهما الابتدائية رغم الاختلاف الكبير بينهما في كل شيء، حيث تميز السيد بتفوقه في اكتساب العلم والحصول على معرفة تؤهله لأن يكون باستمرار الأفضل من جميع الجوانب، لذلك لم يجد أهل قريته أكثر منه تناسبا لمنصب العمادة في قريتهم.

في حين كان سامب شخصاً متكرراً، لم يحقق القدر المطلوب من التعليم، كان راسباً نموذجياً في تحصيل المعلومات التي يواجه بها الأفراد مستقبلهم عادة، و محباً للمهن اليدوية و معاتلة الحمولات الثقيلة التي تحتاج لجهد بدني كبير، حيث ساعدته بنية جسدية ما كانت إلا لبغل.

تمتع سامب إلى ذلك بثقة سيده ورفيق طفولته وجواره، فعبر السنوات الطويلة التي عاشاها معاً، أتى من الأعمال الضخمة ما جعله أهلاً لثقة سيده وعمدة قريته، وكأنه يقول لوالده

الذي أراد لـه دخول المدارس، لأنها الطريق للخلاص من حياة مجهدة (المدارس ليست كل شيء، فالحياة هي الميدان الأرحب لإبراز القدرات والمزايا والارتقاء).

وقد وطد سامب النية على فهم أفكار السيد قبل البوح بها وعلى ملازمته في مكتب المحاماة لتشرب أسلوبه في التصرف والتدبير.

حظي السيد العمدة بمحبة وتبجيل أهل قريته، تقديراً لعلمه ولتفكيره المنظم الذي وضعه في خدمة الآخرين، الشيء الذي حوله إلى رمز بارز توازي قيمته قيمة النهر المقدس الذي نشأت القرية على ضفته، فقد كان النهر فذا في عطائه كالسيد، عريض المسافة، غزير الدفق، يحيا الناس على فيض عطائه الواسع العريض، لذا أسموه (بو عريضة) كأنه واحد منهم يعمل بالفؤوس فيسمونه (بو فأس) وبالمنجل يسمونه (بو منجل) بل إنه بالفعل أكثر من واحد لهم، أكثر من نهر كثير الخيرات عريض المسافات.

غير أن البشر البعيدين عنهم بمسافة أيام والذين ينبع (بو عريضة) من أرضهم ، قرروا قفل حنفيته على سواهم، واحتكار نفعه لهم ولأبنائهم فأحفادهم، موقفين جريانه على مصالحهم فقط، وكانوا يكبرونهم أرضاً ويكثرونهم عدداً، الشيء الذي دعم حقهم في الاستحواذ على (بو عريضة) وعدم السماح لقطرة منهم بمغادرة أرضهم وسدودهم ومصافيهم وأباريقهم وأحواض غسيلهم، وبيع ما يفيض منه عن حاجتهم ليستطيعوا التحول إلى مجتمع مرموق.

كان العمدة مغتماً ومهتما لقرار المنع، فهو قتل جماعي متعمد لا مسوغ له غير الطمع.

رغم ذلك عمل العمدة ما بوسعه ليعيد لأهل قريته الماء، وليمنعهم من التصرف بغضب أهوج يسلبهم الحياة.

تزامنت مشكلات الماء مع نوبة مرضية ألمت بالعمدة، لم يكن وقتاً مناسباً لحل جميع المصائب التي تنزل مرة واحدة، وقد أثر لزوم الفراش على استعداد السيد العمدة للشفاء، فقد وجد المرض فيه طينة خصبة للاستيطان تماماً كما استوطن الحقد يوماً بعد الآخر نفوس مواطنيه وهم يرون (بو عريضة) ينحف شيئاً فشيئاً.

تورط جسد السيد في ثقل المرض وأتاحت هذه الظروف لقدرات سامب فرصة الظهور، فصار الاعتماد على سامب القوي كالثور، اعتماداً مضاعفاً لتنفيذ قرارات السيد وإدارة أعماله وتوجيهاته.

وكلَ لسامب التنسيق بين السيد والمراجعين، كان ينقل رأيهم له كما ينقل رأيهم إليه دون شرود عن صغيرة أو كبيرة، فكان نموذجاً رائعاً لحمل أمانة العمادة وتحمل همومها، وقد وجد ميلاً في نفسه لدوره الجديد، منتفعاً بخبرته الطويلة في مكتب محامة سيده، كان أمام سامب الجديد ليدفن سامب القديم أن يحظى بثقة من لم يثقون به مع إبداء حسن التصرف والتفكير وسرعة البداهة في معالجة الأمور الطارئة سالكاً نهج سيده.

طال المرض بالسيد وتقلص ظهوره للناس وتراجعت صحته كما تراجع النهر عن الدُور والحرث، كان سامب مفتاح المعاملات الحديدي بين السيد والناس الذين يخوضون معركة البقاء ضد الضفة الأخرى وقد أصبح العمدة يتذكر لمدة ستة دقائق وينسى لمدة ستة دقائق، يخطئ في ستة دقائق ويصحح أخطاءه في ستة دقائق.

كان سامب دقيقاً في حساب دقائق التذكر والنسيان، مما عقد الأمور، فعليه تذكير السيد بما جرى في دقائق نسيانه والإعادة له والتكرار، حتى تعب من العمل منبهاً عند السيد وأهل القرية، ومن البقاء مجرد همزة التقاء، فلماذا لا يتجاوز كل ذلك ويعمل أعمالاً لا يتوقعها أحد؟!

لم لا يجرب فالحياة ميدان للتجريب، لمَ لا يصبح الترس الأهم والرئيس في حركة سواه من التروس؟

لقد حرك التعب، وشيء من كلمات أبيه في الطفولة، نزعة التوق إلى ما عجزت عنه القدرات قديماً أمام الورقة والقلم ... تلك التي لم يؤمن بوجودها لديه أحد غيره، وأيقظها مرض السيد الذي يحتاجه كحمار ينقل الإرشادات والتقارير والأخبار، حمار يعجز عن نقل محتوى ورقة واحدة لرأسه الضخم الذي قال عنه ناظر المدرسة إنه لفيل وليس لآدمي، وهو يطلب منه البقاء في الحقل وإرسال حمارهم للمدرسة لتعلم الدروس مكانه.

اعتمد سامب على ساعته في المعرفة التي يعرفها، دقائق

التذكر، ودقائق النسيان، مثلما اعتمد السيد على ذاكرته في الاحتفاظ بسر مرضه وشيخوخته الذهنية الباكرة، كان سامب أميناً في الإمساك بالسر وعدم السماح لمخلوق غيره بمعرفته عن السيد، لذا حين زار السيد موفد قرية منبع النهر، للتفاوض معه حدد له سامب توقيتاً لا يزيد عن ستة دقائق لمخاطبة السيد في الصراع الدائر حول الماء، وقد وافق الموفد على اختصار زيارته في ستة دقائق مكثفة، قائلاً لسامب:

إن الزمن الذي حددته كثير جداً على ما أردت قوله فشكراً لكرمكم وتجاوبكم.

ثم ما لبث الموفد أن عاد بعد أيام حاملاً رد عمدة قريته، فحدد له سامب ست دقائق لمقابلة العمدة، فقال المبعوث كما في المرة الماضية، شكراً لسخائكم يبدو أن مياه (بو عريضة) التي تشربونها وتأكلون منها جعلتكم عريضو الزمن وكل شيء.

وغاب الموفد ليفد بعد أيام متأبطاً نص ميثاق الوفاق المائي بين القريتين كي يوقع السيد العمدة عليه وينتهي الخلاف.

جعله سامب ينتظر بالباب ستة دقائق ثم أدخله، كان الناس فرحين بحلول السلام وجلاء غيوم الكآبة من فوق رؤوسهم، غير أنه بعد تسوية الخلاف أظهر واقع المصالحة أن الميثاق لم يكن عريضاً في حقهم، فثاروا بغيض على الطريقة التي سوى بها العمدة خلاف

الماء، جاعلاً نصفهم يخسرها لنصف العام على أن يكون له مثل المدة من بقية العام يتمتع فيها بالماء كيفما أراد.

ورأوا في تعيينه سامب مديراً لشؤون الماء قراراً يجانب الصواب مندهشين من تصرف العمدة الألمعي في ميثاق الماء بما لا يخدم سوى مصلحة سامب وحده.

مسكين العمدة الذي ضرسته الألسن والظروف والمرض وثقته بخادمه والدقائق الست تذكراً ونسياناً، ومساكين أهل قريته لأن عمدتهم لن يتذكر ما فعله بهم في الدقائق الست التي لن يتذكر إنه منح فيها شيئاً لسامب!

سامب أيضاً لن يتذكرهم لأنه لا يريد لأحد أن ينتزعه من التفرغ للتمتع باللحظة التي توج نفسه فيها بعد سنوات من الازدراء ملكاً للحياة.

ملك الست دقائق شرع في نسيان شخصه القديم بشخصه الجديد المدعو (مفتاح بو عريضة) راسماً لمجريات جديدة ستطال كل شيء.

لا وقت عند سامب القديم ومفتاح بو عريضة الجديد، فالمسافة بين كل ست دقائق وأخرى في حياته لا تقدر بوقت!

بنغازي 1999/9/14

صدفة بغير ما مصادفة

كنت أدرب مخي على الحذف ...نجحت عملية كنسه من المعلومات والبيانات السابقة ...استغرق الحذف أياماً قليلة وأنا أتأهب للرحيل للبيت الجديد ..نظفته للمحتويات الجديدة ..لكن ظلت كلمة واحدة لا تستجيب للحذف أو المسح، ولم ينفع معها الدفع والكنس ... تلك كانت كلمة خالي، مع أن مضمونها الإخلاء!!

استنجدت بي مقشات الذاكرة ومساحيق إبادة البيانات ... كنت في مزاج منشرح .. عكرتني هذه المشكلة ..لأن أدواتي الماسحة لا تستنجد بي إلا عندما يتأكد عجزها عن تأدية وظيفتها.

قبلت التدخل .. كلمة خالي كانت عالقة في مدخل الذهن لا تريد الانزياح، وهي مشبعة بصورة حاملها وبطولاته الهوائية، التي ما أطلقت عليه اللغة لفظة خالي إلا لكونه خال بالفعل من الخير والمحاسن والمنافع ... كانت الكلمة تفرد عضلاتها سادة الباب على جملة غير دهنية، وكانت مملوءة بالتبجح والوقاحة والخيلاء .... عرضنا

عليها خلوّا مناسبا فأبت وتمسكت بمكانها ... جربنا معها الإطفاء التدريجي فقاومته مستقوية بما عندها من قوة الروابط اللحموية.

قلت لقدراتي دعوها حتى تمل فترحل بنفسها .. لكن القدرات اشتكتها لسوء سلوكها مع جميع مفردات اللغة العملية..كانت خالية حتى من العقل ...

.. لقد وجدت الحل أخيراً، بتأثيث مكان لها أكثر فخامة وضخامة وبروزاً في ذاكرة أحد الأصدقاء التجار..فمضيت أستدرجها إليه لتخرج من ذاكرتي ودماغي نهائيا، ومضيت أزوقها وألمعها في أحاديثي، وأضفي عليها صفات لا تملكها، غاية في الفضيلة والمثالية والكرم والفهم اللماح والحذلقة وما إلى ذلك من صفات تفتن الألسن والعقول.

تدحرجت كلمة خالي رويداً رويداً من نافوخي إلى نافوخ أحد أصدقائي، كانت لزجة، مغموسة في سائل صمغي، تركت لي الإهاب اللغوي الذي لبسته كجلد ثعبان.

هاتفني صديقي المعجب بشخصية خالي بعد أسابيع ليشتكي لي صداعاً مدمراً للأعصاب يطيح برأسه!

بنغازي 2004/11/30

طفل الواو

لا يلحظ من السيارة الأولى سوى أنها مسرعة، إلا أن الثانية كانت أكثر جنوناً بحيث لم يمكنني سوى الاستسلام لجنونها.

ارتطمت بالأولى قبل ارتطامهما بي، فرمت تحت عجلات هذه وعجنت تحت عجلات تلك، ثم عبرت شاحنة مختصة بهرس العظام على عظامي.

كان سائقها يسوق ونظره إلى الجهة الأخرى.

دخلت الشاحنة بجنبي الأيسر وطلعت مقدمتها من مؤخرتي، كانت جمجمة السائق عالقة فيها لكن نظره كان مسلطاً إلى الأسفل، صار لي جنب واحد فقط هو ظهري!

هبطت في الأثناء إبر طويلة من السماء على جسدي، أخذته وهي تعلو وهبطت به فوقي وهي تهبط.

تراشقت أمامي عبارات مسلسل تلفزيوني تافه عن الإرهاب، وطارت حولي مناجل وسارت أخرى من تحتي واستقام اعوجاج

أخريات على لساني.

ظل رأسي دون سقف، تخرج منه ديدان صفراء وحمراء وبنفسجية، تمددت حول جثة حمار ميت بنفس الرأس.

كنت منزعجة من حركة الدود الناعمة لأنها تشبه مجريات شهر العسل المسكوب بين تجاويفي، فتحت عيني وفيهما شيء من مقدمة الشاحنة إلى الحمار الملقي أعلى رأسي فطبيب خاطري قائلاً:

- أوشكوا على الانتهاء دقيقة إضافية.

- لا تتضايقي تكاد عملية نقلي منك تنتهي.

أتت جياد سماوية، استراحت على قفصي الصدري، تلفتت طويلاً، هرستني قبل أن تقدر طريقها، صاعدة نحو السماء مخلفة صهيلها بقلبي.

بقيت قدم الطفل الذي يلاحقه المجهول لصيقة بطولي وعرضي. كانت متخشبة ولها أزيز باب قديم، عالق بنفسه.

رأيت روحي لأول مرة، جميلة مترنحة، مخمورة، تعود إلى بيتها الجسد، تتخبط في سيرها، يعترضها القاتل بالأحضان يطعنها به فتتلوى وتخمد ويصير جسدي هشاً أمام تراب القاتل المنتشي.

ينتقل بعد الظهيرة من السرير إلى الثلاجة.

يأتيني الألم في الثلاجة.

يخبرني أنه عميل الجراح، ثم تأتي سيارة مسرعة تدخل بجانبي، هذه المرة لا يكون فيها سائق.

لأنها تتابع طريقها إلى شوارع مأهولة بالعملاء.

عصافير دأبت على بناء أعشاشها في البرج المتبقي من رأسي، فردت أجنحتها هاربة في الأثير المشرع وطلقت الرأس لأنها سمعت صوتاً بداخلي مثل الخرطوش.

كان موجهاً لأحد سكان قلبي.

عصفورٌ وحيدٌ حام حولي واقترب إلى ذهني يريد أن يقول لي حمداً على السلامة.

فتحت عيني فرأيته يبتعد ويختفي في مجاهل وجه زوجي الذي سكب نظراته فوقي.

رجع العصفور من مخبئه حماراً، فصرختُ في ديدان رأسي التي تبتلع المناجل وتتعفف على الإبر(خوذ وه يلعن بوه).

جاءت إبرة من خارج جسدي ارتشقت فيه لكي تنسيني ألم رؤية الحمار الذي منع ذيله جفني من إطباق كامل.

استُدعيت سيارات العالم القديم والحديث لتدخل بي، واستُنفرت عربات القمامة. مرت شاحنة مخصصة لطحن العظام، تعثرت في ذيل الحمار فمات السائق بنزيف دماغي.

دماغي أنا.

حين حان موعد الإبرة الثانية، كانت عيني مفتوحة بالفعل وجسدي في مكان آخر، والسيارات التي عبرتني عبرت، وجرو صغير هزيل يمتص ثديي، ووجه تؤوب منه العصافير جحوشاً وحشية، يقول لي بأسنان مفلوجة:

- ولد يا راجيا ولد!!

شُقت الشجرة الضخمة التي هناك إلى نصفين، وتبعثرت منها الدوائر التي تؤلف عمرها، بعض الدوائر ذهبت مع النصف الذي سقط هنا وبعضها مع النصف الذي لم يسقط بعد، ودوائر أخرى ظلت مفقودة.

خرج من الفقد طفل تنازعته دوائر الشقين.

لكن الإبر التي تأخذ المرء لإغماء يقدر هو مدته لم تأتِ!

أدارت وجهها إلى الناحية الإضافية من روحي وأغلقت عينيها قبل أن يُدخل الحمار ذيله بطرفي، وتهبط من لهاته سن تكون ولا تكون بين أسنانه المفلوجة!

بعيداً أضحت السيارات، وحلت تكتة ضعيفة من القلب محل ارتطامها، وجعجعة مناجل، وفلج يطبع نفسه تواً على جسد الروح المغادرة بيتها.

بنغازي 2005/10/10

عيش الغراب

حط غراب أبيض على لافتة (ادخلوها بسلام آمنين) نشر نفسه بمقدار ما فيها من سلام، مسترخياً بمثل ما فيها من أمن.

تشاءم السائق الذي يسلك الطريق عندما مر باللافتة ورآه فوقها، ثم تشاءم من الركاب، ثم من الرحلة،ثم من الطريق، ثم من رفاق المهنة، ثم من نفسه.

في أحد الحقول وقف الغراب يريض رجليه التي ظهرت بها الدوالي، تَعِبٌ من خدمة ربع قرن في مجال التطير!

أخذ يسعل متشائماً من خيالات الرجال المنصوبة كفخاخ طرد الطيور الطفيلية .

أسرع أصحاب الحقل إليه، عندما لاحظوا أن رجلهم الفزاع توقف عن الاهتزاز، بعضهم تحمل بالعصي، بعضهم تحمل بالفؤوس، بعضهم بالكلام، بعضهم بلا شيء، بعضهم بالظل، وبعضهم ببعضهم !

سمعهم يتهمونه بتشويه شعاراتهم لاعنين سواده، تركهم ينتفون سيرته الشخصية، وطار قبل أن يتمكنوا منه.

صادفته نافذتي المفتوحة، فدخل، حط على يد طنجرتي، كنت أعد أكلة شهيرة لأولادي، رآني أضع مقاديرها أمامه، تدعى تلك الأكلة بعيش الغراب!

لم يتناولها أحد، لأنهم تخاصموا على حيازة قطع الكوتشينة، كبر الخصام، وحدثت مشكلة تدخلت بها بعض قطع الأثاث.استمرت المشكلة أربع ساعات قبل أن تهدأ بلا حل.

طار الغراب مجدداً، لم يعبر سماء الحقل، حط لاهثاً على لافتة (ادخلوها بسلام آمنين) كانت سيارات كثيرة تمر بسرعة، ارتطمت واحدة بأخرى، حدثت جلبة، مضغ الناس سيرة الغراب، حلق الغراب بعيداً منهم، فسقطت بعده بقليل اللافتة، سمع صدى سلامها في أقصى البلاد.

بعده لم يعد الدخول إليها آمناً، ولم يعد أي غراب أبيض صالحاً للظهور.

بنغازي 1998

غرف مزدحمة

الغرفة مزدحمة، القائد مندمج في عزف مقطوعته، التلامذة يصرخون حسب تعليماته، الغرفة تضيق أكثر بتمدد الأصوات، وتنبسط بانقباضها، باب إحدى النوافذ اقتلعته صرخات حرى، ثم كأن شيئاً لم يكن، أوقفتُ الكلمات في حنجرتي، بالفعل لقد تأخرت عن حضور التدريبات والمعاملات الصوتية، تسلل صوتي بهدوء، كنت قريباً من آخر مقعد حافته إلى الباب، لم يجد جسدي مكاناً له وإن حشراً، كانت نغمتي قريبة من سلم المعلم، كانت عروق رقبته نافرة، وحنجرته ملتهبة، ذاك لأن العبارات الصوتية كأنها تطلع من فرن وليس من رقبة.

السلم الموسيقي كان ممتلئاً هو أيضاً، لم يجد صوتي فيه مكاناً، أوقعته بعض الأصوات القوية هرمونياً من علٍ، على كل حال كانت إصابته بليغة، لكنه تجاسر في شجاعة ليس لها سابقة.

كانت تلك السابقة مصدر سعادة لي، فلم أظن أنه يستطيع

الصمود لشدة ما رأيت فيه من انكسار وتوسل...

الرجل البدين الواقف أمامي، أمام المخبز منعتني بدانته من رؤية حال صندوق الخبز، ضربتني مؤخرته وهو يستدير ليكلم أحدهم، كان صوته نحيفاً خافتاً ليس كهيئته، صوت حذاءه وهو يدوس الأرض أكثر رجولة من نبرة حباله الصوتية المتراخية.

قلت له:

هل الخبز طازج ؟

رد دون أن ينظر إليَّ:

هه!!!طازج ..قال طازج قال!!

تدخل عجوز مبتل، فقدت أسنانه الأمامية:

الخبذ أخ ، أخ لولا الاولاث ..(الخبز..أخ الخبز لولا الأولاد)

ثم لم يجد صوتي مكاناً بين الأصوات عند المخبز، حدثت الزحمة فلم يمكنني الحصول حتى على رغيف بائث.

غادرت صامتاً، وصوتي في حلقي ليس كعادته، تنتابه رغبة مؤلمة في الخروج من مكانه واستنشاق الهواء، مضيت اغني به له:

يا جبل لبعيد خلفك حبايبنا ..

لم يرقه الغناء...سكتُ.... تركته هو يتكلم، قال:

كان بحر المدينة جميلاً، يسبح بمفرده مع كائناته، يتنافس بياضه مع زرقته إلى الشاطيء... اكتشفت عنده مقدرة صوتي على الصراخ بأشكال متعددة !!

ياه...هذا صوت الديك، وهذا صوت الكلب، وهذا صوت الماعز، وهذا صوت الذئب، وهذا صوت البحر، وهذا صوت الحمام، وهذا صوت السيارة التي توشك على التعطل، وهذا صوتها وهي تبدأ الاشتغال، وهذا صوت دجاجة تبيض، وهذا صوت قرع السيوف، وهذا صوت لم اسمعه من قبل ولم أتعرف عليه !!

لعله صوت الرجل الذي كان يعدو على الساحل في ملابس رياضية، تلحق به مجموعة مجندين وكلابهم ؟

إنه حتى لم يكن قريباً مني لدرجة أن يلقي إليَّ بشيء؟

رأيت صدره يهتز عالياً من الجري، عدا ذلك لم ألحظ شيئاً يخرج منه، فمن أين جاءني هذا الصوت؟

ذهبت وهو معي، يعلو على صوتي خلال جوبي الشوارع، وينخفض في البيت، و يتوارى إذا كنت مع صديقتي.

أمام المخبز قالت لي امرأة تبتاع الأرغفة لخرافها:

- رفعوا سعر الخبز!!
- على الحيوانات فقط.

نظرت إليَّ المرأة ضاحكة

- المخبز مزدحم، الحصول على الأرغفة يتطلب النوم أمام المخبز لحجز مكان في الطابور.

نزل رجل من شاحنته، دخل في الطابور ومنح نقوداً للفتى الذي حجز له مكاناً متقدماً.

بعد الحصول على وجبة صوتية جيدة أمام المخبز، ذهبت للتمرينات، عدد دقات قلبي فوق الثمانين دقة في الدقيقة، حشرت صوتي بين المجموعة الصوتية المنصتة والمرددة، تفاجئت بالصوت الذي وجدته عند الشاطيء، يأتي، كان عالياً جداً، ارتفَع على صوت القائد، داسه، تغلب عليه، ظنت المجموعة المندمجة في الترديد إنّه صوت القائد فرددت وراءه، لم يعد للصوت الخفي مجال يتسع له، فانطلق أبعد أبعد من الغرفة بكثير وهم خلفه منذ ذلك اليوم ينطلقون.

لم يستوعبه المكان، صعد على الجدران، ارتقى السطح، تسلق الأسطح الأخرى، ذاع، لم يعد له أثر محدد، يسمع هنا وهناك في كل الأوقات، لا يقف أمامه حاجز، تركع أمامه المخابز، يستجيب للأتساع، وكثيراً ما يجتذبه الضيق فيدخل فيه ليوسعه، ذات مرة دخل بصافرة شرطي، فأتقنت الصافرة نبرته، تلك الحادثة أوقفت الشارع عن أن يكون مفتوحاً، ونقلت الشرطي إلى شوارع أخرى، الشرطي نقله معه أيضاً، وعندما لم يعد هناك شوارع مفتوحة، ذهب مع الشرطي للبيت.

أنا أحمل في رقبتي نظامين صوتيين من الصعب تحديد أي منهما لي؟!

استمعت إليه ثم عدت أغني بيني وبين نفسي بأحد الصوتين:

يا جبل لبعيد خلفك حبايبنا.

بنغازي 2005/1/26

فقر دم وظيفي

لا أدري لماذا كذبت في كل ما قلته ذلك اليوم .. لم يكن ثمة ما يضغط عليّ لتجنب قول حقيقة بسيطة لا تكلفني شيئاً، ولم يكن الحق ليضرني تلك المرة .. منذ سحبت الباب ونظرت إلى نساء ورجال قاعة الانتظار... أردت معاقبة فضولهم البصري الجشع، ورد ثرثرتهم إلى داخل أفواههم، بأن أكون عكس ما تنقله حواسهم إليهم عني، بألا أكون أنا وفق ما سطروه من شروط لطالب التوظيف المشكوك بقدراته الصحية.

سألت الممرضة :

- باسم من الحجز ؟

- علي .. علي ...

سألت عن اسم الأب والجد، ومضت تدونهما وكأنهما هما حقاً أبي وجدي، كنت أشعر بأنني غير مخطئ في اعتقادي بخصوص الرد على فضول الإجراءات الروتينية، بأجوبة أكثر تملصاً

منه باتجاه الكذب... ياه..... يدفعنا شيء ما في القانون إلى المخادعة، عندما يستلب منا، ويماطل في منحنا ...

من علي الذي سجلت المرضة اسمه؟ واخترق القانون المرصوص، وكان قادراً على التسلل بين فقراته دون أن يشعر به القانون.

القانون لا يشعر، لديه عمى مشاعر ولهذا لن ينتبه لعلي الذي سيخترق فقراته بالشعور.

هل سيكون بمقدوري الوقوف مع علي في مغامرته أم ستخذلني شجاعتي في منتصف الطريق، وأستسلم لمطرقة القانون وأشي بعلي؟ ربما خدمتنا أنا وهو الصدفة!

كان الطبيب أحول، فهو وهو يقرأ عداد الضغط قرب الجهاز إليه وأماله وحرك رأسه، لتتمكن زاوية محددة في عينيه من قراءة العداد، وكانت سيدة تختبئ في فراشية تنتظر، ظهرت لها عين واحدة خلال تثبيت الفراشية على وجهها...عين المجهر هي أصدق العيون التي رأيتها، لأنها تنقل الحقيقة كاملة، والطبيبة التي اعتادت استعمال المجهر تخلت عن استعمال عينها الثانية، ضمرت هذه وانكمشت شيئاً فشيئاً في الوجه .

كان رجل في الخارج يشتم الطبيب الذي ولد زوجته قيصرياً، لأنه لم يكن ترزياً جيداً في تخييط السيدة زوجته، امرأة أخرى شاركته ثورته، لأن زوجة ابنها البكرُفكت خياطتها في اليوم الثاني ، وهي

تنزف بشدة بسبب سوء تعليم الأطباء وتخريجهم في الدور الثاني أو بالفرصة الاستثنائية!

رجال ونساء آخرين عبروا عن حالات مماثلة جاءوا بها، ليس بسبب نجاح الجراحة بل لعدم نجاح التغريز.

وفي النهاية انفجر أحد الأطباء باكياً:

إنها ليست غلطتنا، إنها غلطة الوكيل الطبي الذي أرسلته الدوائر الصحية، ليشتري المعدات من الخارج، فاشترى أرخص أنواع السلك، وحرر فواتير بمبالغ كبيرة، ذهب نصفها لجيبه، تعالوا أريكم قصره لتشتكوه أو تحرقوه فهو سبب هذه المصيبة!

سكت كل من في الصالة، ولم يعد يُسمع سوى أمقاص تعتمل في اللحم البشري، وأناس نصف مخدرين يئنون تحت الأيادي التي تخيط جراحهم.

... سائق تاكسي كان ينتظر أحد سكان العمارة المجاورة للعيادة، كان بعين واحدة، ينادي أحدهم :

أنزل بسرعة .... ياعليويكة يا عور، الجماعة عندهم دوري حامي على الشبكة اليوم.

ذهبت أدراجي، رأيت نصف الشارع ونصف المخلوقات والمباني والسيارات، ونصف الضوء، ونصف الظلام، لم تتمكن عيني التي ترى(لم أستطع تحديد أي من عيني هي ؟)

لم تتمكن من رؤية كل شيء، لذا فهي ترى رؤوس المواضيع والأشياء فقط.

تحسست وأنا جالس، غرزاً ناتئة لعملية بواسير قديمة.

في صالة الانتظار، كنت أدرب نفسي على اسمي الصناعي، أقرأه مطبوعاً بالكمبيوتر على مغلف مختبر التحليل، الكمبيوتر لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، لو كانت النتائج مكتوبة بخط اليد، سوف تكون عرضة للشك في مصداقيتها، سلمنا المظاريف، بدأت المرضة تفسر نتائج التحليل، نادت أول اسم، نهضت امرأة، قالت لها:

غير مطابق للشروط .

عندها أبدت امتعاضها من النتائج، فصرخت بها المرضة:

سوابق ورمية .

ثم نادت ثاني اسم، وهي تبدي عدم مبالاة بتمتة المرأة، كان رجلاً غير مطابق للشروط بسبب السيلان، انسحب في هدوء.

ثالث ورابع وخامس اسم، كلهم نقص في المناعة المكتسب، بكوا.

نادت الطبيبة المتجهمة اسم (علي) فنهضت بتثاقل، نهض معي رجل آخر، عدل بنطلونة الضيق عند الخصر، جلست بتردد لأنه سبقني، قالت المرضة:

فقر دم حاد ... يا علي ...

ضجت الصالة المعروفة بصالة الأورام .. مبروك مبروك .. لقد فزت بالوظيفة!

كان اسم علي يرن في قاعة فحص المناعة، فرحاً بنيل الوظيفة... خرج الاسم الفقير للدم، من القاعة دون خسائر، وبينما يقطع الطريق في زهو كلمته من الخلف... هيه ... هيه أنت .... التفت إليَّ.

قلت له :

هل حضرتك علي علي علي أم علي علي علي ؟!

أجاب مهتزاً :

تأكد من أنك علي علي أم علي علي علي، لأنني أنا أيضاً علي، أنا مصابٌ بالزهايمر حقيقةً ، لكنني فزت بالوظيفة ، الحمد لله .

قطعت الطريق قائلاً:

أيعقل أن يكون علي الذي انتحلت اسمه مصاب بالزهايمر مثل علي!!

بنغازي 2005/1/10

ما فات ولم يثبت أنه مات

هي تـزن 190 كيلو، ورغم وزنهـا الثقيل فـإن لهـا روحـاً خفـيفة، ووجهاً حسناً، ولساناً يغزل الريح، ورجال تصادقهم كيفما اتفق .

قـررت هي تخفيض وزنها من أجل العريس الذي تأخر طويلاً، حـتى جعلها تسرح في السمنة بـلا رادع، مجيئه لجمهـا وكمـم فمهـا، فـنزل وزنهـا خـلال ثلاثـة أشـهر40 كـيلو، أي مـا يكـون واحـدة أخـرى مثلها من دهونها المبعدة!

ولمـا لم يخضـع الدهـن المطـرود مـن جسـدها للذوبـان، كمـا هـي العـادة، تكتل في زاوية مناسبة لبقائه، مكوناً هي جديدة أقل وزناً من هي الأولى.

هي نتيجة إغلاق الفم، بما أنها من ماضي هي الأولى، أخذت بعض صفاتها وتصرفاتها(بالذات الجزء الأقوى صراخاً من الغريزة) فمضت تمارس عاداتها، تصادق الرجال وتخرج مع أسمنهم وأكثرهم مالاً وجاهاً، ورغبة في تجديد الشباب.

أصيبت هي الأولى بالغم من سيرة هي الرشيقة.

رأى العريس هي وهي ترافق رجلاً آخر، فشك في أخلاقها، تبعها إلى حيث الشقة التي دخلتها ومكثت بها ساعات. لكنه لاحظ أنها ليست بنفس الوزن، مضى يتيقن من خطيبته كلما لمسها، دقق أوراقها الثبوتية، فهو عقيد وله معارف يخدمونه بسهولة ويقدمون له ما يطلب من معلومات، إنها خطيبته لكنها أقل وزناً إذا كانت مع سواه!

عذبها شك خطيبها والمشاكل التي تزيد بينهما ولا تنقص، فسخ الرجل الخطبة كي لا يجن، حزنت هي واكتأبت، عادت لسيرتها الأولى، زاد وزنها، خرجت مع أصدقائها القدامى للنسيان، رآها خطيبها السابق مرة مع رجل سمين، لم يصدق أنها خطيبته السابقة، فهذه أسمن بكثير، راودته نفسه للخروج معها، فغيره ليسوا أفضل ولا أكثر فحولة منه. عندما يخرجون مع الأقل والأكثر وزناً!

بنغازي 2004/10/4

مفضل وغير مفضل

لم يكن زوجي مريضاً بشيء أو متحسساً لأمر، أو شاكياً من خطر، وهو يفقد لون جسمه في الأمكنة التي يقعد بها و ينام، أو يرتادها و تلامسها حرارة جسمه الطبيعية.

يومياً.... يترك لونه على السرير بعدما يصحو، لأجد الملاءات اصطبغت بشيء من سواده، إثر احتكاكه بها وهو نائم، كرسي الصالون كذلك، ومقعد السيارة، والمكتب، ومقابض الأبواب، ...الخ

سرعان ما يظهر أثر لونه على الأشياء التي يعرض لها، وكأن لونه بصمات بارزة مرئية، إنّه يفقد على كل شيء لوناً من ألوانه، وهذا ما أثار غرابتي من زوجٍ ملونٍ متلونٍ، ليس له لون واحد محددا!

إن لونه في السرير ليس كلونه في السيارة، ولونه في بيوت الناس ليس متماشياً مع ألوانه الأخرى في بيتنا .... زوجي لا يعير ألوانه المتروكة والمذروفة والمسكوبة هنا وهناك أي أهمية، كأنه يعي أنّه بلا لون، لأنّه قادر على خلق ألوانه كيفما اتفق !

حرصاً على بقاء أركان بيتنا، صرت أجمع ألوانه المفقودة، لكيلا ينتشر زوجي خارج المنزل، فألوانه تنسلخ عنه كما ينسلخ السناج عن زجاج الفتيل.

لقد وصلت ألوان ملعون التلوين إلى أذن الدولة، فاستدعته لتلوين الأعلام الرئاسية وصبغها، بعد أن أذابت عوامل التعرية ومداومة الاستعمال، الألوان الثلاث لعلم بلادنا.

لم يعد ممكناً إنتاج الألوان الثلاث المنقرضة من أي مزيج لوني، ولم يعثر على مثيل مطابق لها إلا عند زوجي، لكنه لا يفرزها في كل ظرف ومقام، فهي إنما تتكون في ظروف خاصة ومقامات معينة، فاللون الأول منها لا يفرز إلا إذا كان زوجي متحدثاً، والثاني إذا أؤتمن على سر، والثالث إذا أعطى وعداً وقطع عهداً!

رفضت الدولة تصنيف زوجي إنساناً في تعدادها السكاني، حيث صنف بقرار رسمي،علبة طلاء وطنية ملك لجميع السكان الذين لا يجدون ألوانهم أو تضيع منهم و يضيعونها، أو لا يثبتون على لون لأن لونهم من النوع المسمى (محير).

لقد بنيت علاقة حب مع اللون الذي يتركه زوجي بغرفة الضيافة، وهو لون ظهوره مشروط بزيارة بعض الأصدقاء لنا، إنّه جميل وشفاف وحميم وطيب وراقٍ ..... قربني إليه حتى لكأنه شخص آخر!

وقد اعترتني رغبة تحديد الفرد الذي يظهر معه لوني المفضل، فتوصلت لذلك بسهولة، وصرت أتضايق من تغيبه الطويل عنا، أو مقابلته زوجي خارج البيت، صرت أنتظر لحظة قدومه إلينا بلهفة وأنتشي بحضوره وأكره رحيله.

فقويت علاقتي به، وصرت أشتاقه أكثر من زوجي فيما بعد، فقد كان قادراً على عدم التلون، وقد أحببته على سواده كما هو، فهو لم يمثل عليَّ ولم يتقمص خصائص لونٍ سوى لونه.

مع ذلك الصديق وجدت لوني الضائع، الذي بحثت عنه عند زوجي ولم أدرك أنه يربض قريباً مني، رهناً فقط بمناسبة احتكاك بسيطة تظهره!!

بنغازي 2004/11/14

موطن الوقت الرمادي

قتلت الرجل حقاً، أنا متأكدة من ذلك ولست أهذي، فالمسدس كان بيدي والعيارات النارية دوت في أذني حتى أن صوتها فتح أذني اليمنى المغلقة على ذاتها منذ سنوات، ومار الدم من جسد الضحية على الأرض، فشعرت بالرعب منه، وأمرضني الخوف الذي ألم بقلبي من شيء فعلته وكأني لم أفعله!

كانت الساعة تعلن الثامنة صباحاً من يوم الاثنين، وأنا متغيبة عن دراستي بسبب الوقت المهدور في انتظار انتظام الدراسة.

قلبت جسدي الخائف على السرير، كانت الأرض التي أعيش عليها مهتزةً كسريري، رفعت الساعة أمام وجهي لأرى ما تفعله العقارب بالوقت، تنهدت بارتياح لأن توقيت الجرم الذي فعلته يختلف عن التوقيت الذي أعيش فيه الآن، فالجريمة التي أشهد بارتكابي لها كان مسرحها الوسادة والسرير.

ارتحت قليلاً لأن أحداً لم يرني وأحداً لن يتعقبني، فلا شرطة

ولا عسكر ولا قبيلة لذلك الرجل الذي نلت منه، منذ وضعت رأسي على الوسادة تمام الواحدة صباحاً وإلى أن شيعته في الثامنة، أي أن القتل استهلك من عمري ثمان ساعات تقريباً .. وهو زمن طويل جداً لم يستغرقه حتى الإنسان البدائي في أوليات عهده بالقتل لتنفيذ أول تجربة قتل!

ربما لأنها المرة الأولى لي، غير أن ما خلفته من خوف سوف يجعلني أفكر في التكفير وطلب الغفران وليس تعقب الكائنات، وإن كانت صرصار أو درص أو عظاية أو غيرها.

تولتني الطمأنينة عندما نادتني زوجة أخي طالبة مني اصطحاب طفلها للطبيب، لم أكن ميالةً للذهاب، لكنني سارعت بسحب نفسي من الفراش للتأكيد على أنني كنت فيه إذا ما وجد قتيل حقيقي وطلب إلى إثبات مكان وساعة التواجد ... كنت أتذكر وجه الرجل المقتول وملامحه بدقة بينما أغسل وجهي ، لكنه شيئاً فشيئاً أخذ في التلاشي، وكأنه ذكرى من ثلج، فاحتفظت بهالته دون سيماه، وكأنه ابتعد مشياً وأنا بجانبه على نفس الطريق!

انتظرنا طويلاً في محطة الوقود، لم ألحظ شيئاً ذا بال يسبب التأخير، نفد صبري وانطلقت أعيرة السب والشتم للعامل الزنجي، الذي داعب زميله بخرطوم البنزين، وتطاول لساني فتناول شمس شهر نوفمبر اللاذعة التي حولت الأرض إلى طاجن والسماء إلى طابون.

ما كادت السيارة تنطلق حتى كشرت الشارة الحمراء عن رغبتها في صهرنا داخل ثيابنا ووضعنا على رصيف الانتظار الحار.

زجرت الطفل كثير الحركة حين خبأ رأسه من الشمس في نواحي مغلقة من جسمي، فأطاح بساعتي من معصمي وتحللت محتوياتها إلى الأسفل حيث لا مجال يسمح بالانحناء على وقت مبعثر وللمة عناصره المنبسة، أضحى وجه الطفل الفاعل كوجه قتيلي فأدرت وجهي عنه إلى الناحية الأخرى ابتعاداً، فأدرك بصري نقطة شرطة غارقة في السكينة، شعرت أن ثمة يد مجهولة ستشدني للوراء ولو قليلاً لتسألني عن الساعات الثمانية وما جرى فيها... أو إنها فعلاً شدتني كهؤلاء الموقوفين معي والذين قد يكون لكل منهم ساعاته الخفية الهارب منها إلى غد له أيضاً ساعاته المخفية!

انتظار آخر دخلناه لأن حركة السير داخل المستشفى مكتظة بالأخطاء والعجلة والفوضى والانتظار والانكسار، اقتدت الطفل إلى طابور أطول من معنى الطابور، مليء بالآباء والأمهات الذين جاءوا يعالجون أطفالهم ممن لم يدركوا سن القتل بعد!

صعقتني رائحة العرق النكباء التي قفزت من أجسادهم وأجسادهن، وكرهت الشمس ومشاريع الطاقة الشمسية، وكرهت الصين فرداً فرداً وألبسة النايلون التي تخيطها وتصدرها لنا، خبأت أنفي في بنيقة الصغير.. الأرقام التي أعطوها لنا عطلت النظام لأن الرجل الواقف عند حجرة الكشف أدخل بعضاً من معارفه وأقاربه

دون أرقـام فصـار الانـتظار داءً بـلا مـداوي، وأكـل الطفـل جـزءاً مـن الورقة التـي أمسكها مثله، فكان الرقم ضمن وليمته.

كانـت الطبيـبة تشرح لامرأة قـبلي أسـباب الصـداع، وكأنهـا تستذكر منهج امـتحـان، تنملت ذراعي مـن حمل الطفل ، ثم عـندما كشـفت عليه طلبـت مـنـي أخـذه لغـرفة الملاحظـة، وكتبـت لـــه نصـاً طويـلاً مــن الأدويــة يشـبه مقــرراً دراسـياً في مــادة الصـيدلة، لكـنـي انصـرفت بـالطفل لأن مـن وجـد أمـام غـرفة الملاحظـة أكثر ممـن وجـد فيها، وهذا لعمري أضعف الانتظار!

آويــت لـمنزلي بعـد الوقــوف إجــلالاً لشـارتين تعطلـت ألــوان إحداهـا الخضـراء والصـفراء، وصـار الانتظار في الزحـام خـانقاً، اتصلت بـالجـريدة للاستفسار عـن موضـوعـات ضلت طريقها إليها، طلـب مدير الـتحـرير معـاودة الاتصـال بـه، لأن شـاربه إذا أعطـانـي إجابـة فوريـة سوف ينشق أو يلتصق بالآخر!

لم ينس أن يصفنـي بالعجلة وقتل الصبر و....!

مكتـب إحـدى المجلات المحلية التـي أراسلها لا يـرد، ومكتـبها الرئيس في العـاصمة يطلـب إليَّ قلب المواضيع السياسية إلى مواضيع اجتماعية، على نقيض ما قاله مكتب المجلة هنا!

ارتديـت ملابسي وخرجـت أراجـع أوراق بطاقـتـي الشخصـية، فأنـا حتى اللحظة أتجول دون بطاقة ودون شخصية!!.

وهم يؤجلونني لذات التبريرات التي سمعتها في مكتب الجريدة، وفي السوق العام وفي الجمعية الاستهلاكية وفي المرافق والضمان.....وكأن المرسوم الشائع في المؤسسات الخدمية هو تأخير المواطن وتأخير الوطن!

قال أحدهم:

عندما يفعلها الأمين (المدير) و يأتي وهو لا يفعلها دائما، سوف تحل مشاكل جميع المراجعين الذين تكتظ بهم الطرقات والسلالم والمكاتب العامة و...

كانت نبوءة الحرارة أصدق من تفاؤل القائل، لكنني استوفيت نصيبي من انتظار الأمين والمأمون والمؤمن بالقضاء والقدر، ولم تحل المشكلة حتى حل وقت الصلاة، فانصرف الكبار للصلاة وطلب الفرج، وذهب من ليس لديهم الوقت لإقامة علاقة مع الله إلى مداومة الانتظار والمطاولة أمام أبواب أخرى عصية الفتح !

أويت لمنزلي، كان هواء غرفتي المقفلة على الجريمة غير المعلنة، يغري بالمزيد من الإجرام، حاولت الدخول في التذكر لمعرفة من كان القتيل .... فتذكرت فقط لباسه الرمادي، كان دون ألوان، حتى دمه لم يكن ملوناً مثلنا.

غيرت الوسادة وتمددت مع خوفي استمع لنبضات قلبي الأشبه بدقات ساعة قديمة، اشتهيت ألا أنام لكيلا يطاردني القتيل

أو أهله ...... لم يكن ثمة دم في رؤية القيلولة، لم يكن ثمة رجل رمادي أو رجال رماديون أو مسدسات أو أعيرة ......مع أن ثمة دخان رمادي كثيف غطى مجال الرؤية، وثمة صوت يردد أغنية حزينة أحسبني عرفتها أثناء نومي، وثمة الكثير من العقارب البحرية والبرية والبرمائية التي تسير سيراً جماعياً متناغماً مع الغناء، وفي عكس اتجاه عقارب الساعة.

عندما أفقت تبينت من كلمات الأغنية، العمر، العدم، الوقت، الانتظار، وشيئاً ما عن القتل الرمادي، إن صدقت الذكرى ولم تخنني الذاكرة ولم تكن حياتي اليومية تدبيراً مسبقاً لحياتي النومية!

إذا....فقط ....إذا!

بنغازي 2000/11/6

هواء التنفيخ

لم يكن أمامي خيار ثان، حين طار أمامي صدمته وقتلته... تمزق حقاً إلى كذا قطعة حتى ما كأنه هو.

وقد فوجئت بالشرطة تأتيني للتحقيق في مقتل الكيس!

بدأ الأمر غريباً لي، إذ أن الكيس كان مجرد كيس هذا أولاً، أما ثانياً فإنه كان فارغاً وليس به شيء!

على الرغم من ذلك فإن عائلة الأكياس طلبت إنزال أذل العقوبات بي لقتلي كيساً قيماً منها، فما كان غير ذي أهمية بالنسبة لي، مثل لعائلة الأكياس كل الأهمية، قلت بأنه فارغ، ولولا تلك القشرة التي كان بها كيساً ما اكتسب حتى كونه كيساً!

... ولما تساءلت أين كانت العائلة المبجلة والكيس يطير أمام سيارتي ذات صباح مغبر؟

.... قيل بأنهم كانوا يرون كل شيء من وراء سور الرجل المهم

الذي تحلقوا في محيطه وإنه كان يقطع الطريق لمهمة كلفه بها السور، وليس كما خطر لي أو كما اعتقدت بأنه مجرد كيس فارغ من تلك التي تمثل نسبة من قمامة البلد، والتي يعد طيرانها أيام القبلي والعجاج حين تتحرك الرياح، أمراً اعتياديا مزامناً لإيقاع الطبيعة.

... هكذا تبين لي سوء ما تجرني إليه اعتقاداتي وبدائية معلوماتي عن طيران الأكياس السوداء، وأنه آن أوان تغيير تلك المعلومات القديمة عن أسباب تكدس الأكياس الفارغة بشكل لافت خلال دورة القبلي والعجاج.

وأن تجمع الأكياس في تلك الفترات التي تمر بالبلد، أمر يوحي بالصدمة المعلوماتية، عمن جمع مجتمع الأكياس ونظم تصاهرها وتظاهرها، حتى تظهر وكأن لها سابق علم بزمان ومكان التواجد والطيران.

الكيس الذي ذهب لأداء مهمة مغايرة ومهمة من منظور مجتمع الأكياس، لم يكن آتياً من أحد جبال القمامة المركونة هنا وهناك، لأنه ليس عادياً، والقضاء عليه أصاب مجتمع الأكياس بانتكاسة عضلية شلته عن النشاط....

لأعترف أولاً بأنني صدمته وأنا عائدة من الجامعة، كانت أعصابي متوترة بسبب بعض الأحداث غير السارة هناك... ومزاولة أنشطة لا تتصل بالمعرفة.

ضايقني ذلك وأصابني بعدم التركيز في قيادتي، حتى لم أنتبه للمرحوم وهو يقطع الطريق أمامي ... في اللحظة التي أصبته فيها كنت أفكر في بواب الجامعة، الممتلئ بالسلطة التي دخلت الجامعة في نطاقها ومنطقها!

منعني البواب من الدخول دون مبرر، قائلاً أوقفي السيارة بعيداً ولما سألته لماذا ؟

قال هكذا وفقط، صفي السيارة وترجلي

لكن المسافة بعيدة؟!

ليس على الرجلين من بعيد.

لكن المكان الذي أريده هنا...وأشرت له بيدي تكراراً.

أنت تعرفني وتراني يومياً أدخله وأغادره في نفس الوقت.

قال لا دخل لي...الأوامر هكذا، حتى وإن كنت أراك فرئيسي لا يراك وأنا أنفذ أوامره فقط.

أليس لديك مرونة؟

أنا لا أتمرن، رجاءً لا تحرجيني مع الإدارة .

لو أن الكيس عومل كما عوملت وسواي ما صار لمجتمع الأكياس الفارغة والهشة مقام ومقال في البلد، وما وجدت الرياح المحلية ما ترفعه وتضعه وتطيح به وترميه بلا غاية هنا وهناك

في الجامعة كانت المقشات نشطة بخصوص إخفاء مهمة الأكياس، لكن وجد لها هي أيضاً أكياسها الفارغة إذا نظرت إلى مخرجاتها.

قال شيخ الأكياس، وهو من القماش استخدم سابقاً لحفظ الحلبة:

الجزاء لابد واقع.

ورد عليه كيس فحم مصاب بالسواد أكثر من السواد نفسه، إن الميت كان مخصصاً لوظيفة لم ننلها منذ تقلبنا في المراتب، فهو على حداثته بالوظيفة، لم يطر سوى مرات محدودة، ولم يعلق بمسحات السيارات والأرجل والأقدام، ولم يرتمِ على وجوه الناس الذين يتحدون القبلي والعجاج.

طبعا كيس عن كيس يفرق.

هذا الكيس وجد أول مرة في محل مجوهرات فاخر خارج البلد، جلب فيه رجل هام هدية الزواج لخليلته، ثم وصل بطريقة ما لأم مسئول، طوت به بعض الأغراض العامة المأخوذة دون علم الابن، أهدتها لبعض أقربائها، كان الكيس أميناً على سرها...ثم استخدمته زوجة شخصية في قطاع الصحة في تزويد بعض أصحابها بمبالغ قيمة، وطوته عليها كي لا يفضح أمرها مع أنوف الفضوليين ... ثم دخل بيت شخصية جامعية على قدر من المسؤولية واستخدم لطي أمر بعض الممتلكات الجامعية كلما غادر المسئول مكتبه إلى البيت...

ومن البيت انطلق لمهام أكثر وقعاً.... تلك التي صدمته خلالها بالسيارة.

نلت عقوبتي من مجتمع الأكياس، الذي حقنني بالروح التي بها تخلق الأكياس أكياساً، لكي أجرب ما يشعر به الكيس عندما تدوسه الأرجل أو تصدمه السيارات أو يستهان بمرتبته من المتاع.

... صار الكيس يكبر وينتفخ بداخلي كل يوم، أما المنطقة التي تبقت حرة منه، فهي التي صرت أتخيله بها طائراً أمامي كلما نمت، أما كلما كنت في حالة صحو، فإنني كثيراً ما أعتقد بطيرانه أمامي حتى وأنا لا أقود ولا أبرح مكاني ولا أسمع ولا أرى ولا أتكلم مع أحد وإن كانت نفسي... أعتقد أنه بهذه اللحظة يمارس طيرانه ككيس.

لم أعد أقود السيارة خشية حادث جديد، ذات مرة كنت أسير على قدمي، فإذ بكيس يطير من مجمع قمامة بحي سكني راق، خشيت الارتطام به، فوقعت لعدم تركيزي على موضع قدمي، جرحتً جبهتي، ثم وأنا أضمدها، رأيت الكيس يبتعد عن القمامة، ليكتسب حياته الجديدة، منتفخاً بالهواء، كما لو كان ورماً لا كيساً، وكما لو كان ينتفخ بداخلي وينتفخ، وينتفخ، وينتفخ، حتى يغدو قبالتي!

بنغازي 8-9 /2005/3

وأنا أجلس

عندما كنت أمشي أثناء النوم ارتطمت بإبريق قديم صدئ، فظهر منه كائن ضخم الحجم، غريب الشكل قال لي شبيك لبيك عبدك ضائع السعد بين يديك، فنظرت بين يدي وخلفهما فلم أجد شيئاً لم يضع السعد منه.

قال لي مريني، فقلت لا سمح الله بل أنت الذي تأمرني فأنا طيلة حياتي عبد مأمور مضغوط ومقدور عليه، لم أفكر قط بأن هناك من هو أكثر عبودية مني، معاذ الله أن أمرك بشيء، أريد فقط أن أعرف كيف دخلت بحجمك الضخم هذا الإبريق مجدوع الأنف والفم والذاكرة ؟

قال المارد ضاقت عليَّ الدنيا فما دخلت بمكان إلا ولاحقوني إليه، حتى عين الإبرة الضيقة سكنتها فطرحوني منها بحجة إنّهم سيخيطون بدلاً عسكرية للجيش العربي الذي سيطهر القدس المحتل وكأن حرب التحرير مرتبطة بالملابس التي سيواجهون بها العدو!

مـــاذا ســيحدث للعـــالم لـــو أنّهــم نـــزلوا لـــميادين القـتـال بالبيجامات؟ هل ستتوقف النية في إشعال حرب؟

أما في هذا الإبريق الصدئ فليس ثمة متاعب تذكر، اللهم إلا حاجة الزرادة (الرحالة) إليه كوعاء لسلق البيض في نزهاتهم الخلوية، إنّها مهام سهلة إلى تلك التي يحملينها العالمين وكأني بارئهم!

شبيك لبيك..

قلت باستغراب : أنا!!!!! لماذا احتاجك ؟ لالالا !!

قال: بل من الضروري أن تطلب شيئاً وإلا لن يمكنني العودة إلى الإبريق من جديد.

فكرت فيما سأطلب منه. هل أطلب رفع سكنى من أحياء القمامة أم اطلب نقل القمامة من الخارطة التي أقع ضمن جنسيتها. هل أطلب أن يأتيني بقيمة الفواتير التي دفعتها للجامعة بدل دراسات عليا والتهمها المدير مني بحجة أنه لا يوجد بند في الميزانية بالخصوص؟

أم أطلب إنزال أسعار المواد الغذائية والسلع التموينية المرفوع عنها الدعم؟

هل أطلب فتح رؤوس الناس والقضاء على جرثومة الخداع والكذب والغش؟

هل أطلب تطهير البحر من التلوث الذي جلبناه عليه، هل أطلب أن يسكب في عقولنا العقل ويرفع دلاء الخبل ...هل أطلب أن يزودني بالصبر والمر كلما سرت على الطرقات وتعرضت للعدوان اللفظي البذيء من مسلمي الأوراق الرسمية فقط؟

هل أطلب تنظيف تاريخنا من النزاهة غير الموضوعية التي دلقناها عليه وهو مخمور؟

هل أطلب معالجتي من مرض التألم من أخوة التراب وعليهم؟

هل أطلب جمع الخونة الذين عرفتهم الحياة، في مدرسة الأخلاق الحميدة، لتربيهم من جديد قبل إعادتهم للحياة ؟

هل اطلب إعادة محفظتي وملابسي ونظارتي الطبية وصور أحبتي التي سرقها اللصوص من سيارتي في شوارعنا الآمنة ؟

هل أطلب منه أن يهنئ كل سعيد بسعيدة ؟

هل أطلب تحميمي في نهر البرء من ذلك المحتل الذي احتل قلبي وتزوج فيه وحملت ذريته أبداً اسمه الحزين (الحزن)؟

هل أطلب إسكاني هذا الإبريق الصدئ الأجرب مكانه،لأجرب حياة مختلفة؟

- هيه هيه أنت هل لك أن تسكنني بيتك ؟

- وهل اسمك مثل أسمي ؟

- سمى وخذ بلاداً .

- هل يقرأ اسمك من جهة واحدة أم من جهتين ؟

- أحيانا ..

- إذاً تاتم بن تاتم.

- خذ أي بلد تريده واترك لي الإبريق وإذا دخلت البلد فقل خيرك لي وشرك لأهلك.

- وماذا لو كان البلد الذي اخترته كله شر ولا خير فيه؟

- سؤال وجيه، لكني سأطرح أمامك بلدان العالم كله وأحدد لك المناطق التي ينبغي الحذر منها، أن هناك بلداً هربت منها ولن يمكنني الدنو منها وإن لفظيا أو على الخارطة، عليك أن تعرفها من الإيحاء لأني إن ذكرت اسمها أطبق عليَّ من فمي وتحول إلى شرطي أو مباحث، لا أستطيع التمييز بينهما تحديدا فاعذرني ...

هل تفهمني حضرتك وتفهم طبيعة هذا البلد الذي أتعب العالم وأتعب الملائكة والشياطين من سيرته التي يسطرونها فالشياطين تتبرأ منه والملائكة كذلك.

سأصفه لك و لتكن دليلي..

هل هو الثري الذي كثفت ثروته قلة العقل وضحالة التفكير والأفكار الشريرة وإغلاق الرأس على ما فيه وضحك عليه الغرباء

وانتقم من أهله لعدم إدراكه أين يجد مصلحته، أفي سجنهم وعصرهم وفرمهم، مظهراً شطارته للآخرين عليهم حتى يطمعوا فيهم!.

هل هو الذي يرقد فيحلم فيصبح مغيراً مجرى حياة مواطنيه حسب الحلم الذي رآه ؟.

هل هو الذي أحسن اللّٰه إليه فلم يحسن لنفسه وقلما وعى لأفعاله؟.

هل هو الذي ضغط على الناس فأجبرهم على الاحتيال والغش والمشي من الدروب الوعرة الخالية من عيونه لأجل أن يجدوا لقمة العيش المرغة في الوحل ؟.

هل هو الذي ضحى من أجله المجاهدين من أصقاع شتى فلما وسعها اللّٰه عليه رفض أن يمنح عوائلهم حق الجنسية وعاملهم كغرباء كأنهم لم يضحوا بأنفسهم لأجله؟.

كأنك تعرفه فأنت لم تخطئه في شيء حتى الآن !!!

خذ حذرك منه وإياك أن تهبطه غافلاً أو عارفاً، لأنك ساعتئذ ستتحول إلى مارد شرير يتسبب في دمار العالم ولا يقف بوجهه أحد.

بكى المارد المسكين من شدة التأثر والخوف من أن يؤول إلى هذا المصير الأسود المجهول.

ربت على أصغر أصابع قدميه، فلم يشعر بي وحينما شعر ظن أن ناموسة تقرصه.

والآن يا صديقي العملاق لك أن تذهب وأنت مدرك مسارك خارج الإبريق الذي حولته إلى منفى.

وما حاجتك لـه؟

احمل جثة في قلبي مذ باعني صاحبها، لا أريد أن تشرق شمس يوم جديد وهي معي.

ارتعد المارد خوفاً وازداد ضخامة ثم همس متلفتاً:

جثة من هي هيا اخبرني ؟؟

لا تخشي، أنا أحيا معها منذ سنوات، ولم أترك العمل على التطهر منها، وهذا هو سبب مشيي في الليل.

ألا تخف،ألا تتألم منها طيلة مدة حملها معك؟!

بلى خفت ولم أزل وتألمت ولم أزل وقتلتها ولم أزل اقتلها.

هل تضايقك؟

جداً ، حتى إن رائحتها النتنة تخنقني.

جثة من هي؟

جثة من صادقتها فباعتني ووفيتها فخانتني.

لقد جاءتني مرة وطلبت مني أن أعمل لك عملاً فطردتها فذهبت للمغرب فأكثرت هناك من عمل الأحجبة والتعاويذ.

إن نـزول الكراهـية بـالفؤاد أولاً، يجعـل لـلمرء فرصـة في الحـب بعدمـا يكون قد جرب الكره ولكن نزول الحب أولاً لن يجعل أمامه إلا الاندفاع إلى الكره الأعمى إذا اهتزت قامة الحبيب في الفؤاد.

وكيف أستطيع خدمتك؟

بعـد إذنـك أخـل لـي الإبـريق وسأسـكنك إبـريق عصـري نسميه(الشقة) وهكذا سأجد مكاناً أضع به الجثة.

شبيك لبيك ..

خـرج المارد فساعدنـي عـلى انتشال الجثة مـن قلبـي وإدخالهـا الإبـريق الصـدئ وركلـه بعـيداً بـالقدمين باتجـاه الصـحراء الكـبرى، وممارسة طقوس الرغبة الدائمة في الاستبعاد وقطع سبيل العودة برمي سبع حصوات خلفه وتهشيم قلة فخار من أثمن أنواع الفخاريات.

أخـذت المـارد مـن يـده، كـان خفيفاً رغم ثقل حجمه وجسامته، كـان يـرتجف مـن بـرد الغربة التـي نعيش فيهـا وبهـا، احتويتـه بمعطفي ولم أكـن أدرك إننـي بلمسة الحنـان الخاطفة تلك قد أعطيته اسمي وصـبغته بشـكلي، فصـار مـن حقـه أن يدخـل فراشـي و يجـالس أصدقائي و يعـادى أعدائـي و يـتملق رؤسائي و ينـاجى إلهي ويحترس أخوتـي و يكـذب عـلى ولاة أمـري و يمسك بذيـل الكلـب لـيخرج مـن الغـريق، ويقبل اليد التـي يتمنى قطعهـا و يضـع رأسـه بـين الـرؤوس ويناشـد قطـاع الـرؤوس، و يضـحك وهـو يـبكي و يسعد وهـو حـزين و

ينحني للعاصفة وللآخرين الذين يشبهونها و يقول عن المر حلو وعن الحلو مر والجميل قبيح والقبيح جميل والضيق فرج والجوع نعمة و الظلم فضيلة و الشح كرم!

لقد أراحني جداً وجوده معي كما ارتحت لتكليفي بمهام واسعة النطاق أكثر مما وهبته لي صلاحيات الوظيفة.

بعد مرور مدة ...

شكى المارد المنزلة المأسوية التي حللته بها كان متعباً ويبدو عليه هرم مبكر، باكياً من الآخرين الذين ركلوه كالطابة وسخروا من أهميته للحياة وضيعوا حقوقه وادخلوه في مشاكل لا دخل له بها واستغلوا اسمه وسمعته وخدعوه وباعوه واشتروه والصقوا به الأكاذيب وصعدوا على أكتافه وكلفوه بما يفوق قدرات الآلهة الميثالوجية وطعنوا شرفه وشككوا بملكاته ووصفوه بالجنون واتخذوه مجالاً لإسقاطاتهم وركبوا ظهره ركوب البعير وطمعوا في طيبته وإبريقه الصدئ.

لأجل ذلك عادني باكياً راجياً إرجاعه لإبريقه الصدئ وقد عرفت أنه داس تلك البلاد التي حذرته منها ومن خبث أهلها.

قلت له :

إن طلبك مرتبط بتوقفي عن المشي أثناء النوم وهذا من المستحيل.

قال باكياً:

أرجوك لقد ضيقتها عليَّ بعدما وسعتها لك، أرجعني لسكني لا أريد حياتكم ولا دنياكم !

قلت :

لا تتوقع أن أقول لك شبيك لبيك، فأنا مثلك أخافهم، أخاف العودة للماضي وللآخرين وزيف زمانهم.

قال :

أرجوك اعتقني.

قلت :

عتقك يعنى تحرير جثة الميت وعبوديتي من الأحياء أما رأيتهم كيف يجشعون في طلباتهم بيوت، قصور، سيارات، نساء، شهادات، أموال، بنين، سفر، شركات، سلطان، جاه، ملذات.......

أرجوك اصبر عليَّ أوجد حلاً عادلاً لي، ألا يملك قلبك الطيب ذلك؟!

ركع المارد أمامي وبكى حتى رق له قلبي ثم قال:

لو كنت أملك لك إبريقا لأسكنتك فيه غير أن هذا هو الشيء الوحيد الذي لا أستطيعه، أرجوك رق لحالي فأنا حالياً أقيم في مؤخرة أحدهم، وعندما أخرجني مرة للتنفس وقلت له شبيك لبيك،

طلب إليَّ إسكانه في قصر، فلم أجد ما أرد به علي طلبه الغبي إلا أن قلت لـه لو كنت أملك قصراً ما سكنت مؤخرتك!

قلت لـه بضيق وكأني لم أسمع شيئاً:

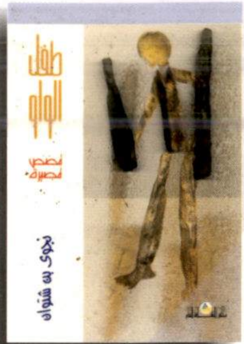
حتى وإن حررتك مني اللحظة سوف أرطمك ذات ليلة بحذائي وستخرج من قمقمك وتسألني سؤالك الشهير شبيك لبيك، وبحكم العبودية المتبادلة بيننا سوف أسألك الخلاص من عبوديتي لكل ما هو متجيف في قلبي، وبإخلاص وعبودية سوف تلبي طلبي وهكذا سيذهب الوقت وينسحب العمر ونحن نتبادل الأدوار اعتقاداً منا بأن ما لدى الأخر أفضل وأن الآخر ليس عبداً لما يملكه!

وقف المارد في آخر المشى الليلي الذي أسير فيه ورفع يديه ضاحكاً باكياً، يا لسخرية القدر منا، ما نحن إلا عبيد لإبريق صدئ مرمي في صحراء كبيرة قاحلة.

التفت إليه وأنا أمشي في الاتجاه الأخر لليل، متذكراً أن في فؤادي شيء عن أباريق قديمة لا حصر لها، أتمنى أن أرطمها بحذائي وأنا خارج السرير!

بنغازي 2/4/2002

الفهرس



- يقدم مجلس الثقافة العام للقارىء الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًّا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام